محمد نور الدين

حضرات السادة العشاق

قصص قصيرة

(١)

« حضرات السادة العشـــاق »

عندما سألتها عبر التليفون ايضـــا ، وباصرار عن الســـبب الحقيقى الذى جعلها تتعلق بى هكذا .. دون أن تعرف من أكون ! .. دون ان ترانى ولو لمرة واحدة ! .. لم تتردد ولم تخجل عندما همست بصوت عذب ملىء بالأنوثة المشـــتهاه : ببســـاطة وبدون تعقيد .. لأن صوتك يشبه الى حد كبير صوت العـــندليب الذى احبـــه جـدا ..

فى الحقيقة لم ار فى حياتى هذا العندليب الذى يتكلم عنه الناس .. ولم اسمع صوته ابدا .. لم اسمع غير صوت العندليب الأسمر المرحوم عبد الحليم حافظ .. ولست ادرى أهناك عندليب ابيض واحمر او اى الوان اخرى .. وذلك لم اخجل انا ايضا من جهلى هذا واستفسرت منها باخلاص : صدقينى .. انا لم أسمع فى حياتى صوت عندليب حقيقى .. أنا لم أسمع غير صوت الدجاج والعصافير ولكن أحب الأصوات هو صوت الحمامة العاشـــقة تناغى عشيقها وقت القيلـــولة و ...

لم تنتظرنى حتى نهى .. فقاطعتنى بحنان وسعادة حقيقية : يا لك من شـــاب متدفق الأحاسيس متوهج العواطف .. هل تعلم انى كنت احلم طوال عمرى ان اصـــادف فى حياتى شابا مثلك ..

نشرت بالأهرام المسائى ١٩٩٢/٦/١٦ م .

واصارحك الحقيقة .. ان نقطة ضعفى الوحيدة هى استسلام قلبى لأكلمة الحلوة الحارة .. أنها تذيب كيانى كله .. ارجوك .. أرجوك لا تحرمنى من الاتصال بك يوميا بنفس هذا الوقت .. فقط لكى أروى زهور مشاعرى العطشى من قطرات صوتك ونبراتك الأخاذة .

ولأنى لدغت من هذا الجنس المزعوم بلطفه ولطافته مرة سابقة .. لذا فقد قررت ألا ألدغ من نفس الجحر مرة ثانية وفى الحال صفعتها بسؤال حاد : صارحينى .. كم رجلا غيرى قلت له مثل هذا الكلام ؟ !!

لكنها لم ترد فى الحال .. حسبت أنها لم تسمع سؤالى التوبيخى هذا .. الا أنها بعد فترة صمت سمعت نشيجها يفد الى مسامعى ضعيفا حبيسا .. فى الحال شعرت بالاثم ولمت نفسى .. ضعيفا حبيسا .. فى الحال شعرت بالاثم ولمت نفسى .. انسانة رقيقة مثلها ما كان يجب على أن اجرح مشاعرها بهذا السؤال الفج الغليظ .. لماذا اسقط عليها كل عقدى السابقة .. لماذا آخذها بذنب غيرها ؟ ! .. أكويها بنيران شكوكى وحقدى على المرأة ؟ !! .. ولم اجد طريقة للتخلص من هذا المأزق الذى وضعت نفسى فيه أفضل من أن ابادر بإلقاء اللوم عليها هى فقلت لها بصوت ملىء بالعتاب : لا تغضبى منى .. أنت السبب فى شكى هذا .. فهذا هو الأسبوع الثانى الذى نحكى فيه معا يوميا .. لم أعرف عنك الا القليل .. لم أرك حتى الآن لابد أن أراك .. لو كان حبك لى حقيقى كما تدعين لما مانعت أبدا فى تحديد موعد نلتقى فيه .. نقترب أكثر من بعضنا

.. هذا هو الشيء الوحيـــد الذى تؤكدين به صــــدق كلامك لى .. ما رأيـــك ؟

تلعثمت للحظات .. ثم قالت بنبرة مفعمة بالحياء والحرج : اخشى الا يعجبك شكلى فأفقــدك الى الأبد .

طرت فرحت بعدم ممانعتها فى تحديد موعد ومقابلتى فأجبتها فى الحال : لقد احببت روحك من خلال صوتك . فقط أتشوق للقائك .. متى ؟

عندما اقترب الموعد الذى ضربته لى كان كل جسدى ينتفض نشوة وغبطة .. اكتشفت انى ما زلت مراهق القلب والعاطفة .. فرحت لأنالتجربة المرة السابقة لم تترك نقطة ســوداء فى أعـــاق نفسى .. وهتفت لنفسى بسعادة حقيقية وأنا ارتدى القميص الأزرق والبنطلون الأحمر — وهما العلامة التى ستجعلها تتعرف على وسط الحديقة العامة .. بعد أن حــددت مكان انتظـــارى هنـــاك فوق الحشائش الخضراء تحت الشجرة الجافة التى لا يجلس تحتها أحد .. وبالرغم من انه لم يكن عندى البنطلون الأحمر الا أننى من قبيل التضحية مناجل الحب اسرعت واشتريت هذا .. وطالعت نفسى فى المرآة للمرة الأخيرة بارتيـــاح واعجاب حقيقى .. وهمست الى نفسى من جديد مؤكدا : أنت هكذا .. لا تتحسن صحتك ولا تبدو نضارتك الاعندما تحب .

لم اشأ ان اتأخر عن الموعد .. قررت أن أسبقها الى هنـــاك كان تحت قميصى الأزرق قلبى الخفاق كحصان جامح فك نفســـه من كل قيوده .. راح يمرح داخل صدرى .. يعدو مرة مبتعــدا الى

الأفق مع التوقعات الحلوة عن الحبيبة الرقيقة .. عن منظرها .. .. جمالها .. سنها .. ثم لا يلبث أن يرتد القلب مرة أخرى خائفا مرتعدا من خداع هذه الفتاة فربما كان هذا الوعد مجرد فخ .. وينتظرك هناك احد من أفراد الشرطة .. لقد سمع الكثير عن مثل هذه الفخاخ النسائية .. ولكن القلب العربيد المجنح يرفض كل هذه التوقعات السوداء ويعاود تحليقه من جديد فى الفضاء متذكرا نبرات صوتها العذب الملائكى .. وطمأنت نفسى بأنه من تملك هذا الصوت الرقيق لا يمكن أن تعرف الخداع او الفخاخ .. ومع ذلك ساورنى احساس من شك ضعيف عندما جلســت تحت الشــجرة المحددة .. لم يكن اى مخلوق يجلس تحتها غيرى .. ولكن بعــد دقائق رأيت شابا يتقدم من الشجرة ويجلس تحتها ايضا .. لم يزعجنى أنه جاء .. لكن الذى ازعجنى حقــا هو انه يرتدى هو الآخر نفس القميص الأزرق والبنطلون الأحمر .. فكيف ستعرفنى .. كيف ستفرق بيننــا .. فكرت أن أطلب منه بأدب أن يجلس فى مــكان آخر .. ولكن فوجئت بمجيء ثالث ورابع .. كلنا نرتدى القمصان الزرقاء والبنطلونات الحمراء .. يبدو ان الأطفــال فى الحديقة حسبونا أعضاء فى فرقة موســيقية لأنهم تجمعوا حولنــا بانبهار وهم يرمقون زينا الموحد .. ولم يكن لدينا شك الآن بأننا خدعنا .. كتمنا غيظنــا .. وتوعدتهــا بالانتقام .. أحســـت بالكراهية والبغض من جديد لكل النساء .. هذه المرة الثــانية التى تخدعنى فيها امراة .. وقبل أن أهم بجر ساقى منكسرا مهزوما .. سمعت صوتها الملائكى يقول : مرحبا بحضرات السادة العشــاق .. مواعيدكم مضـــبوطة .

رفعت عينى اليها وكذلك فعل جميع المرتدين للقمصان الزرقاء
..وكم كانت دهشتنا فائقة عندما ادركنا أن الذى كان يتصل بنا هو
شاب قوى ورياضى كان يرتدى مثلنـــا القميص الأزرق .. فى هذه
اللحظة فقط احسسنا بالسعادة كاملة لأننا لم نخدع من امراة ..
فانفجرنا فى الضحك الحقيقى .. بينما واصل الشاب تقليد أصوات
أخرى لبعض المســاهير .

((تمــت))

(٢)

« فوانيس الأحفاد »

لم تفلح الدقات العنيفة المتوالية من يد « معروف » المسحراتى المتمرسة منذ عشرين سنة هجرية .. على هذاالدق المصحوب بصوته المبحوح منشدا بعبارات مسجوعة حفظها كل من يقيم فى هذا المكان منذ فترة طويلة .. لأن الشيخ (معروف) كما يطلقون عليه كنوع من التكريم لكبر سنه .. لم يعرف غيرها ليردده .. « ست العرايس يا زينة الملاح .. ياوردة نادية فوق جبين الصباح .... » .. ولأنه يعمل ويقيم فى هذاالحى منذ كان شابا ، فهو يعرف كل ساكن فيه .. ولذا فهو ينادى كل واحد منهم باسمه .. ولا يتزحزح من أمام بيته الابعد أن يرد عليه من ناداه .. اى رد يطمئنه أنه لم يزل على قيد الحياة ..وانه سينهض ويتناول طعام السحور ..

وفى كل ليلة يقترب من بيت الحاجة أم « وحيد » كان يتجاوزه سريعا .. لم يكن يطيل الدق على طبلته .. لأن الحاجة أطال الله فى عمرها كانت تعاجله بالرد عليه والدعاء له بالصحة وطول العمر .. كانت تدعو له بحنان أمى يشعر معه بالانبساط والارتياح .. ورغم أنها لا تكبره الا بسنوات قليلة .. الا أنه كان يحس بأنها أمه .. فكان يثب من أمام بيتها نشوان ردا عليها بالدعاء بطول العمر .. وبأن تسمع الأخبار الطيبة عن وحيدها الاستاذ « وحيد » وأسرته ..

نشرت فى جريدة الاتحاد سبتمبر ١٩٩٠ م .

الذى سافر هو واسرته جريا وراء لقمة العيش فى احدى دول الخليج .. وتركوها وحيدة هنا تمضغ أيام عمرها فى تكاسل .. وتبتلعها يوما بعد يوم بمرارة وقلق .. ولكن فى هذه الليلة لم ترد عليه الحاجة .. خالفت عادتها .. كرر الدق .. صوته المجروح أخذ يدوى بالغناء وبالنداء على الحاجة .. لكنها لم ترد .. بانت آثار الاضطراب والقلق فى نبرات صوت (معروف) .. لم يكتف بالضرب على طبلته .. تقدم الى باب بيتها وقد سيطر عليه الخوف على الحاجة .. على أمه التى تعيش وحدها فى هذا البيت الطويل العريض دون انيس أو جليس .. خاف ان يكون هناك اى مكروه قد أصابها .. فزعت روحه عندما شك فى موتها دون ان يكون حولها اى انسان يسقيها شربة ماء .. او يسبل عينيها او يديرها الى القبلة .. فى لحظة لعن الأولاد وخلفة الأولاد .. والخارج والسفر الى الخارج .. شرع يضرب بجلدته على الباب بشدة وبالحاح قلق .. واخيرا سمع صوتها الحنون يأتى الى مسامعه الملهوفة من بين ركام نعاسها .. ودعت له بنفس الدعاء التقليدى الذى اعتاده منها .. لكنه لم يطمئن فأوقف الدق واوقف النشيد .. سالها فى قلق وجد : هل استيقظت يا حاجة ؟ .. هل أنت بخير ؟ .. الا تحتاجين اى خدمة يا حاجة ؟

ردت عليه الحاجة مطمئنة اياه شاكرة له بامتعاض .. واصل (معروف) الدق على طبلته منطلقا الى بقية الجيران حتى يوقظهم قبل أن يزحف الفجر .. وترك الحاجة وحيدة مع نفسها مشطورة الاحساس موزعة المشاعر بين ضيقها وامتعاضها منه لهذا الالحاح على ايقاظها وانتزاعها من أجمل حلم رأته منذ فترة بعيدة .. واحتوتها

السعادة والغبطة من جديد عندما تذكرت الحلم .. لأول مرة منذ أن سافر ابنها (وحيد) الى الخليج مصطحبا أحفادها الثلاثة وزوجته .. لأول مرة تشعر بالدفء .. تخلصت للحظات فى منامها من تلك البرودة والوحشة التى استعمرت أركان نفسها على مدى السبعة أشهر الماضية .. كأنهم لم يسافروا ولم يتركوا مصر .. كانوا يثبون فى كل أركان البيت .. كانوا يضيئونه بصرخاتهم وضجيجهم .. بمرحهم وعراكهم المتواصل على لعبة أحدهم .. كانوا يهرولون اليها فزعين ومحتمين بها والاختباء داخل ثيابها .. يخبئون رؤوسهم وأجسادهم الصغيرة بشعورهم الناعمة وجلدهم الرقيق بين لحمها وملابسها الداخلية زيادة فى الأمان بعيدا عن أيدى أمهم أو أبيهم « الذى أسرع خلفهم مهددا ومتوعدا بضربهم لهذا الضجيج والعراك » .. وكالعادة تسارع هى بحمايتهم وضمهم الى صدرها لتشعر بهذا الدفء يمرح نشيطا داخل القلب والشرايين .. حنان يفيض ويفيض ليغمر كل حناياها .. وترفع صوتها ناهرة ابنها .. أو زوجة ابنها طالبة منهما الابتعاد عن كتاكيتها .. انهم لم يزالوا صغارا ولا يتحملون هذه القسوة .. وينسحب ابنها من أمامها .. ويخرج الأحفاد فرحين لأنهم لم يعاقبوا .. وينهالون بالقبلات على وجه جدتهم التى تدغدهم وتضحكهم .. واعتراها الاحساس بالضيق

والامتعاض من (معروف) المسحراتى .. لماذا أيقظها من هذا الحلم الجميل ؟ !! .. حتى الحلم بالحياة مع أحفادها تحرم منه !! .. ورفعت عينيها بالدعاء ليحفظهم الله فى غربتهم .. ولكن وقعت عيناها على الرف الخشبى المثبت بالجدار .. سرى فى أوصالها احساس بالحسرة والشفقة عندما صافحت عيناها الفوانيس الرمضانية

الثلاثة بألوانها المختلفة .. هى التى وضعتهم بيديهـا فوق الرف منذ أول شهر رمضان .. ذهبت كعادتها السنوية الرمضانية الى السوق .. اشترتهم كما تفعل فى كل عام عندما كان أحفادها معها .. اختارت نفس الألوان التى كان يفضلها أحفـادها الثـلاثة .. (أشرف) الصغير كان يحب اللون الأحمر .. بينما (محمود) يحب اللون الأخضر .. أما (وائل) الكبير كان يصمم على اللون الأصفر .. عندما اعتذر صاحب الدكان بأن اللون الأصفر غير موجود .. طلبت منه أن يتصرف ويحضره من أى دكان آخر .. وأوضحت له بأن (محمود) ابن ابنها عنيد جدا وصلب الدماغ .. ولن يرضى بغير اللون الأصفر .. وبالرغم من أن صاحب المحـل لا يعرف ابنهـا ولا (محمود) ابن ابنها .. الا أنه خضوعا لرغبتها واصرارها .. اضطر لاحضار الفانوس الاصفر من محل آخر .. ومع أنها تعلم أن أحدا من أحفادها لن يلمس فانوسه هذا العام .. لأن ابنها أرسل اليها منذ شـهر معتذرا عن عدم حضوره فى أجازة الى مصر هذا العـام لضيق ذات اليد .. نظرا لنفقات تأثيث شقته بالاضافة الى ارتفاع ثمن تذاكر الطائرة .. الا أنها قررت الا تغضب أى واحد من أحفادها وتغير عادته فى اختيار لون الفانوس .. وتذكرت كيف كان شـهر رمضان معهم يجرى بسرعة .. كيف كانت تشاركهم فى اشـعال شـمعات الفوانيس كل ليلة .. مع آذان المغرب من كل ليلة .. كثيرا ما كان الأحفاد يلحون عليها لكى تطفىء أضواء البيت كلها .. كانت تفعل ما يطلبون .. كانت تسبح فى بحر من السعادة والنعيم عندما كانت تتابع فى خفاء عيونهم الواسعة الجميلة اللامعة المبهورة بمتابعة النظر الى نور الشمعات المتراقصة المضطربة تأثرا بهبات

انفاسهم .. وتلك الانعكاسات الضوئية وهى ترتعش على صفحة الجدران .. ثم كانوا يحملونها بعد ذلك بأيديهم الصغيرة مؤرجحين لها بنشوة ومرح متجولين بها بين طرقات البيت وعبر حجراته .. ثم تفيض بهم السعادة والنشوة فينطلقون بها بين طرقات الحى مع بقيـــة الأطفـــال ..

دفعتها ذكرياتها الى النهوض الى الرف .. تناولت الفوانيس من فوقه بحرص شديد .. طفقت تحتضنهم جميعا بحب وســعادة .. كأنها تحتضن احفادها .. اخذت تقبلهم فانوسا بعد آخر .. رصتهم امامها على السجادة التى تجلس عليها .. جلست أمامهم تطيل النظر لفترة .. سيطرت عليها رغبة مفاجئة .. نهضت على الفور دون تكاسل .. توجهت الى المطبخ .. بعد لحظات عــادة سعيدة منتشية حاملة لثلاث شمعات صغيرة وعلبة ثقاب .. بنشاط وحيوية راحت تشعل كل شمعة على حدة وتفتح باب أحد الفوانيس وتثبتها فيه .. لم تخلف العادة .. اشـــعلت فانوس (أشرف) اصغرهم أولا وقبلهم جميعا .. فهو كان عجولا دائما .. كان يصرخ لو لم تشعل فانوسه قبلهم جميعا .. كانت تهدى من غضب اخوته الكبـــار .. مغرية لهم بالصبر لأنهم رجال واكبر منه .. احســـت بالشفقة والحزن عندما تذكرت صراخه الملتاع عندما أمسك الفانوس أول مرة .. امسك به بقوة من المنطقة الساخنة .. صرخ ملقيا اياه على الأرض .. ظل يخاف منه .. لم يقترب منه لمدة يومين .. وعندما أراد ان يقلد أخويه الكبيرين فى حملهما للفانوس والتجوال به داخل البيت بعد أن اطفأت الأنوار كلها .. أكملت اشعال الفوانيس

الثلاثة .. استمرت فى عادتها نهضت من جديد .. اطفأت كل أضواء البيت .. حملت الفوانيس .. راحت تتجول بين طرقات الشقة وحجراتها .. كأنها تصطحب أحفادها .. اخذ صوتها يردد معهم كلماتهم الرقيقة وهم يؤرجحون الفوانيس فى كل اتجاه « حاو .. يا حلو .. رمضان كريم يا حلو .. بنت السلطان .. لابسة قفطان ...... » وراح صوتها يعلو ويعلو .. ودموعها تنزف وتنزف .. ولم يوقفها عن هذا الا صوت تسابيح الفجر التى راحت تتعالى من ميكروفونات المساجد المحيطة بها .. لم تطفى الشمعات .. تركت نورها يغمر المكان ويبدد الوحشة .. ولو للحظات .. وعجلت بتناول شربة ماء ناوية الصيام .

« تمـت »

(٣)

« فخـــاخ للزوجـــات فقط »

تظاهر عبد الجبار بالنعاس .. مدد جسده الفارع كمســـلة فوق سرير حجرة نومه كعادته بعد كل غداء .. اغمض احدى عينيه تماما .. بينما أغلق العين الأخرى اغلاقا غير كامل .. ترك اهدابها فى حالة مواربة .. كان ينتظر الصيد الذى سيقع فى الفخ الذى نصبه بعد أن اثار ضجة هائلة فى وجه زوجته وأولاده مدعيا انه فى حاجة ماسة الى النـــوم ولا يريد من اى مخلوق ان يوقظه مهمـــا كانت الأسباب .. لم يفزع من هذه الضجة المتوعدة غير اولاده الصغار .. زوجته وحدها كانت اسعد من فى البيت .. فما دامت رغبته قوية فى النوم.. فحتما ستتاح لها الفرصة لممارسة هوايتها السرية فى العبث والتفتيش فى كل جيوب زوجها بعد كل عودة الى البيت سواء من العمل الحكومى التقليدى ، أو من زيارته الى اى من اصدقائه فى المساء .. مجرد هواية تعلمتها من أمها ولا تستطيع الاقلاع عنها .. كانت تشعر بلذة لا يعادلها الا لذة رؤيتها لزوجها عاريا بعد أن يغلق باحكام باب حجرة نومهما عليهما .. تغمرها الراحة عقب كل تنقيب وفحص دقيق لمخابىء ثيابه .. كانت تكتشف كل شىء عن زوجها دونما عناء فى التحقيق أو فى محاولة انتزاع أى اعتراف منه .. اكثر من مرة صرح زوجها بأن « الزوجة التى تفتش فى جيوب زوجها هى امرأة سيئة الطبع .. لأنها لا تثق فى نفسها وبالتالى

نشرت بجريدة البيـــان ١٩/١٢/١٩٩١ م .

لا تثق فى زوجها ! » .. لم تعترض على رأيه العبقرى .. جارته ووافقته تماما .. بل وحمدت ربها على أنها ليست من هذا النوع المقيت من الزوجات .. فهى تثق فى نفسها وكذا فى زوجها الحبيب ..

كان عبد الجبار زوجها بالرغم من جسده الضخم والذى يبدو من بعد كما لو كان عشرة رجال انصهروا معا فى رجل واحد .. يحمل فوق كتفيه بالضبط رأسا خبيثة .. لقد أيقن أكثر من مرة أن زوجته تعبث بشكل متواصل فى جيوبه .. لكنها ترفض الاعتراف ..

مرة بعد مرة .. تأجج حنقه عليها لأنها تستغفله .. عظم على كرامته ورجولته أن تسخر من ذكائه هذه المرأة القصيرة والتى تطاول رأسها أعلى عظام فخذه .. مما يجعله دائما يتحاشى السير بجوارها فى الأسواق .. حتى لا يثير ضحك المتسوقين عليه .. وعليها .. لذا وثب تفكيره فى الهواء فرحا عندما صافحت عيناه هذا الفخ المعروض فى الاسواق وكتب عليها « فخ للزوجة » .. وصمم على شراء اثنين منه .. سيضع واحدا منهما فى أحد جيوبه والثانى فى الجيب الآخر .. حجمه لا يزيد عن حجم علبة كبريت صغيرة .. لكن بمجرد لمسه والقبض عليه تحدث صعقة كهربائية مفاجئة للزوجة مصحوبة بصوت جرس لانذار الزوج .. رتب كل شىء .. لم يغلق باب الحجرة بأحكام كنوع من الاغراء للصيد الذى سيتسلل حتما الى خزانة الملابس ليمارس الهواية ..

شعر بباب حجرته يفتح بحرص شديد يشبه حرص اللصوص .. واصل تظاهره بالاستغراق الكامل فى النوم .. طفق يصطنع شخيرا حتى يحفز الصيد للاقتراب من الفخ .. اغلق الباب

بحرص اكثر .. توقفت زوجته للحظات تتـابع نومه الذى يشبه رقـاد الميت .. تسربت الى شفتيهـا الخـاليتين من الطـلاء ابتسـامة الاحساس بالنصر .. بينما جاهد نفسـه باصرار واستماتة حتى لا يستجيب لرغبة جامحة فى الانفجار فى الضـحك .. وخاصة عندما سبق خياله وقوع الحدث .. فبعد قليل ستصرخ زوجته فزعا بعد أن تلسعها الكهرباء .. لحظتها لن تتمكن من الانكار أو خداعه واستغفاله .. حتما ستنهار وستعترف كأى لص يضبط متلبسا .. سيعطيها درسا فى كيفية احترام ذكاء الزوج ....

صرخت زوجة عبد الجبار عندما لسعتها الكهرباء فى أحد جيوب زوجها .. هب عبد الجبار مدعيا الفزع والذعر .. اراد أن يكمل دوره فى التمثيلية التى أعد لها السيناريو بدقة .. لكن احسـاسه بالتشفى فيها والسخرية منها ومن ذكائها الخائب قد غلبا عليه .. فى لحظـة وجد نفسـه عاريا فى مواجهة عينى نمرة .. ذئبة جائعة تفترس فى كل ملامح وجهه ثم تنحدر الى كل اعضاء جسـده من اعلى الى اسفل عضـوا بعـد عضـو .. لم تصرخ غير صرخـة واحدة .. بعدها زمت شفتيها بقسوة .. أين هى زوجته اللينـة الرقيقـة التى كانت .؟ ! .. ولماذا هذا الجمود المتحفز يستولى على كل ملامحها . لو تنطق بكلمة واحدة .. لكنها لم تفعل ! تمنى أن تصرخ مرة اخرى .. لكنها راحت تحملق فيه كمجنونة ! .. كأنها لا تعرفه ! .. قرر الا يستمر فى صمته .. صرخ فيها محتجا بعزة زوج قوى لماذا تفتشين فى جيوب ملابسى ؟ ! .. اهى عدم ثقة فى ؟ ! .. أم عدم ثقة فى نفسك ؟ !! .

لم تجبه .. اتجهت الى الضلفة الثانية من نفس الخـزانة حيث توجـد ملابسـها هى .. انتزعت حقيبـة كبيرة من تحت السرير .. فتحتها .. اخذت تكدس فيها ملابسها الخاصـة ..

حاول معها عبد الجبار كثيرا يثنيها عن اصرارها فى الذهاب الى بيت اهلها غاضبة .. لكنها لم تنحن أبدا لمحاولاته وتوسلاته وادعائه بأنه لم يفعل ذلك الا للدعابة والضحك قالت له بعد طوال صمت : لا يمكن أن يضمنى بيت واحد مع زوج خائن !!

بهت عبد الجبار عندما سمع زوجته القصيرة تصفعه وتصفه بما فيها هى .. صرخ من جديد محتجا : أنا الخائن !! .. أنا الذى تسللت فى غفلة منك لأفتش فى ملابسك ؟!

حدجته بنظرة تنفجر بالسخرية والاحتقار تليق بزوج خائن .. ثم صرخت كعاصفة مفاجئة « اصرارك المسبق على فعل هذا ووضع هذا الجهاز فى جيوبك .. يثبت انك تخون بالفعل وتحاول حماية نفسك منى .. والا لماذا تخاف من تفتيشى فى جيوبك ؟ !! » .

للحظات وقف فى مواجهة ثورتها دهشا . لم يستطع أن يقى صدره ومشاعره من رشقات السخرية والاحتقار التى تسـددها اليه بتصميم متواصل .. يبدو أنها نجحت فى تشتيت تفكيره .. لم يعد قادرا على الشرح والتوضيح .. سأل نفسه بصدق « لماذا فعلت ذلك ؟!! .. ما الفائدة من وراء ذلك كله ؟!! .. لماذا أغضب من زوجتى حينما تفتش ملابسى ؟!! ما دمت رجلا نظيفا كان يجب على الا أهتم بما تفعله .. ما فائدة أن اثبت لها أننى رجل يقظ لا يمكن أن

تخدعه زوجته وتفتش ملابسه ؟! .. هل ساحصل بعـد ذلك على جائزة نوبل ؟! ..هل ساغير الكون ؟!! .. » .. اقتنع تماما بأن ما فعله كان من قبيل التهور .. اعترف لها بانه اخطـأ .. وانه مستعد لفعل كل ما تطلبه مقابل الا تترك البيت غاضبة ..

لم يكن لها سوى مطلب واحد لكى تعدل عن تركها البيت .. أن يسارع ويشترى كل ما طرح فى السوق من فخـاخ للزوجـات ويدمرها كلهـا .

« تمـت »

« عفــريت نفق الشـــندغة »

لا شك ان بعضكم ما زال يتذكر ما اثير عن العفريت الذى كان يضايق السيارات المارة فى (**نفق الشـندغة بمدينة دبى**) .. كان يطفىء انوارها .. يقلل من سرعتهــا .. يوقف أجهزة التكييــف والمذياع بها .. كان الراكب يشعر بالضيق والاختناق .. وبالدهشة ايضا .. حتى اشيع بين الناس عن وجود عفريت فى النفق .. فى الحقيقة لم يكن هذا عفريتا .. لا .. لقد كان روحى انا .. كانت تقلل من سرعة السيارات .. وتفعل كل ذلك بحثا عن ذلك السائق الأرعن المتهور الذى كان مسرعا — رغم ان المكان هو نفس المكان المخصص لعبور المشاة .. حظى السىء جعلنى اعبر فى نفس اللحظة التى اقبل فيها .. فى لحظة رايت جسدى الفارع المنتشى قد توزع فى المكان الى اشلاء .. لم يتوقف .. هرب مبتعدا عن المكان .. لم تصدق روحى ماحدث .. رفضت بشدة التسليم بما وقع .. رفضت فكرة موتى .. اقنعت نفسها بأن ذلك ليس اكثر من كابوس .. فكيف تسلم روحى بموتها المفــاجىء .. وبخاصــة انه وقع فى نفس الوقت الذى كنت متجها فيه الى شركة الطيران لحجز تذكرة العودة النهائية الى أرض بلادى .. بعد أن قضيت هنا فى الامارات ما يقارب الخمسة عشر عاما .. مبتعدا فيها عن زوجتى وعن ابنتى

نشر بمجلة المنتدى مايو ١٩٩٠ م .

الوحيدة التى خرجت بهـا من هذه الدنيـا .. والذى جعل روحى تصمم على رفض فكرة موتها فى هذا الوقت بالذات هو أن زفـاف ابنتى قد حدد له الشهر القـادم وقد قمت منـذ أيام بشـحن كل الأجهزة اللازمة لتأثيث شقتها الجـديدة التى اشـتريتها لها بمبلغ أربعين الف جنيه .. هدية منى اليها وعريسها بمناسبة زفافهمـا الميمون .. كنت قد قررت العودة نهائيا بعد سنوات الشقاء والبعد عن الأهل لتعويض ما فات .. أعوض نفسى عن دفء الأسرة التى حرمت منها .. وأعوض زوجتى الصابرة المخلصة عن أيام الحرمان والضنى .. وأعوض ابنتى الغالية عن حرمانها من كلمة (بابا) لسنوات طويلة .. ولذلك كنت عند لحظة قتلى بالسيارة فى قمـة العزم على جعل حفل زفاف بنتى عرسا يتحدث عنه الركبـان مثل عرض الأميرة قطر الندى .. وكذلك كانت نيتى صـادقة هذه المرة فى تعويض صديق عمرى « انور محسن » عن خدماته الكثيرة التى قدمها لى منذ سنوات .. فهو الذى كان ينهى لى كل اعمالى ببلدى .. وهو الذى كان يسعى فى كل عام لانهاء اجراءات الحصول على تجديد الاجازة من جهة عملى .. لأنه زميلى فى نفس المصلحة .. ولم يقصر فى آداء اى خدمة لى أو لأسرتى .. وكم طلب منى فى حياء اكثر من مرة عقد عمل نظرا للظروف المادية الصـعبة التى يعـانى منها .. وكنت فى كل مرة أعده خيرا .. ولكن فى الحقيقة كنت أماطل .. فأنا لن أجد من هو اكثر اخلاصا منه .. فلذا جاء الى هنا .. فلن أجد من يقوم بأعمالى وأعمال اسرتى هنـاك .. لكن فى هذه المرة حصلت له فعلا على عقد عمل مجز .. واعتبرت ذلك جزاء مناسبا لما قدمه لى من خدمات كثيرة .. وكان العقد معى فى نفس الحقيبة

التى كانت فى يدى عندما وقع لى الحادث .. ومعه تأشيرة الدخول ..ولذلك رفضت روحى التسليم بأن جسدها قد بلى .. وقررت ان تبقى حتى لا تقتل فرحة ابنتى .. ولا ترمل زوجتى وتتركها بقية حياتها حزينة تعيسة انها لم تزل شابة .. لم تصل الى سن الأربعين بعد .. حرام حرام أن تحرم من سعادتها معى .. حرام الا أعوضها عن أيام الحرمان .. لقد تحملنا معا مرارة الفراق على أمل أن نجمع مبلغا مناسبا من المال لنعيش معا بعد ذلك فى سعادة ورفاهية..ولكن أن يقع لى ذلك الحادث ويقضى على كل شيء !! .. فى اقل من طرفة عين !! .. مستحيل !! .. لابد أن تكتمل فرحة ابنتى ... لن اجعل موتى يعكر على احب واعز واخلص النـاس بالنسـبة لى حياتهم واضيع آمالهم .. لابد ان أستمر فى الحياة .. ورفضت روحى أن‌تذهب الى حيث تذهب بقية الأرواح الأخرى التى تموت عنها اجساد أصحابها .. بقيت فى مكانها بالقرب من نفق الشندغة .. وفى لحظة سيطرت عليها رغبة عارمة فى الانتقام من هذاالسائق المتهور الذى دهمنى وفر هاربا .. قررت أن أتربص له فى النفق .. فهو مكان هادىء وخافت الضوء الى حد ما .. ثم ان السيارات تسير فيه ببطء .. يعطينى الفرصة لتأمل وجوه السائقين .. فأنا أعرف السائق الذى قتلنى صورة وجهه لم تزل مرتبطة بأشـعة روحى .. مرت ايام وايام .. وشهور وأنا ابحث عنه فى هذا المكان بـدون جـدوى ..

واخيرا ادركت روحى ان ما افعله — من بحث عن السـائق الذى قتلنى .. لا فائدة منه .. وأن الأجدر بها أن تذهب فى الحال الى الذين حرموا منها لتعوضهم عما فات .. فالحياة جميلة بحب

احبائنا .. الحياة لذيذة بلخلاص أصدقائنا .. وفى الحال ركبت طائرة مع الراكبين الى بلدى .. وركبت هناك حافلة حملتنى الى بيتى .. كان الوقت ليلا .. كان الظلام يفرش كل الأرجاء والطرقات .. ولكن عند بيتى رأيت أنوارا كثيرة تتلألأ على واجهة المنزل بألوانها المبهجة المفرحة من حمراء وصفراء وخضراء .. خمنت أن هذا فرح ابنتى الحبيبة .. وانتاب روحى الحزن البالغ .. لم يكن هذا هو تصورى عن فرح المسكينة .. كنت أنوى أن يكون فى أكبر الفنادق .. ويحييه أشهر المطربين والعازفين .. أين هذا العرس الهزيل من عرس الأميرة قطر الندى الذى حلمت به طوال عمرى لابنتى ؟ !! وتحملت من أجله مرارة الاغتراب .. اقتربت من العرس وكل روحى غضب .. يبدو أن أحدا من الحضور لم يشعر بوجودى .. اقتربت من المنصة التى يجلس عليها العروسان .. لم تصدق روحى ما رأته .. صعقت تماما .. لم تكن العروسة ابنتى .. لقد كانت زوجتى .. كانت جالسة بملابسها البيضاء .. انه نفس الفستان الذى أرسلته لتزف فيه ابنتى .. كانت ترتديه سعيدة .. كانت بشرة وجهها المكسوة « بالمكياج » تشع بالبهجة وتبرق الرغبة الجنسية من عينيها المكحلتين اللتين تعانقان الرجل الذى يجلس مكان العريس .. يا لحسرتى !! .. ويا لمصيبتى فى صديق عمرى المخلص !! .. فلم يكن العريس غير صديقى « أنور محسن » .. وعلى مضض اقتربت منهما لأستمع الى هذه الهمسات المتبادلة بينهما تقول له محذرة « اياك أن تسافر الى الخارج مثلما فعل السابق » . فرد عليها متلمسا يدها برقة زائدة « أنا لست مجنونا مثله .. من تكن لديه امرأة فى مثل نعومة جسدك وحرارته .. يكون

مجنونا لو تركها تغيب عنه لحظة » . الملعونة طأطأت راسها بخجل وحياء مصطنع وهمست له « سأثبت لك الليلة اننى ما زلت عذراء .. أنا لم أتزوج غير العامين الأولين من حياتى فقط .. بعدها تركنى وفر خلف الفلوس .. لن أسامحه طوال حياتى .. لقد دمر شبابى من أجل المال » .. لكن الخـائن راح يربت على يدها مخففـا من غضبها ونقمتها على وهمس مداعبا « من الليلة ساعوضك عن كل الأيام المرة .. سأجعل كل ايامك عسلا .. سأجعلك تندمين عن كل يوم قضيتيه مع المرحوم » . ردت عليه متأففة « من فضلك لا تذكرنى به مرة ثانيـة » .

تورمت روحى بالغضـب والسـخط العاصف .. قررت ان احيل هذا العرس الى مأتم فوق رؤوس الخيانة .. وقبل ان افكر فى الطريقة التى أنتقم منهما .. لمحت ابنتى حبيبتى .. كانت تجلس فى الصفوف الأولى بجوار عريسها .. المسكينة .. اقتربت منها أردت أن احتضنها واقبلها .. لكنى تذكرت انى فقـدت صـدرى وذراعى وشفتى فى الحادث .. وتوسطت بينها وبين خطيبها .. كان ممسكا يدها فى سعادة . وهى الأخرى تتأجج سعادة وفرحة ادركت انهما قد تزوجا من خلال كلماتهما المتبـادلة .. ومن خلال نقلها الدبلة ليدها اليسرى .. سألها مستفسرا « الست حزينة لأن أمك تتزوج غير والدك ؟!! » .

اجابته بسرعة مدافعة عن أمها « بالعكس .. انا فى منتـهى السعادة لأن أمى تبدأ حياتها منجديد .. كان ابى رحمه الله يجرى خلف الفلوس متناسيا أن له ابنة وأن له زوجة .. وأن حاجتها اليه أقوى من حاجتها الى الفلوس .. صدقنى لو قلت لك اننى

اشعر ناحية عمى (انور) زوج امى بأنه ابى الحقيقى .. فهو الذى كان يتولى جميع مصالحنا طوال المدة الماضية .. هو الذى كان يحنو علينا .. يشترى لنا ما نريد .. يحضر لنا الاطباء فى حالة المرض .. يتابعنى فى الدراسة .. حتى انهيت دبلوم التجارة .. كان أبى رحمة الله عليه يكتفى ببرقيات التهنئة وبعض الهدايا » ..

لأول مرة ارى نفسى على حقيقتها .. سخرت روحى من روحى .. انبتها على تلك المشاعر التى كانت تحملها لهؤلاء الناس تساءلت بمرارة : ارفضت الموت من اجل زمرة من الخونة وناكرى الجميل ؟!! .. فى الحال دارت روحى فى المكان دورتين غير آسفة على وداعهم .. واخترقت الأثير قاصدة برضاء كامل .. المكان المقدس الذى تجتمع به الارواح الطيبة .. حيث الاستقرار والهدوء الأبدى .

((تمت))

« عينــان ضــاحكتان »

عندما انهار جبل الجليد السابق الذى كان يحتل كل صدره حتى نياط قلبه ، لم يكن بسبب اشتداد الحرارة الناتجة عن زيادة ثانى اكسيد الكربون فى الجو ! ولم يكن كذلك بسبب انهيارات ارضية تحت هذا الجبل .. لكنه انهار فجأة عندما هوى كل كيانه فى اعماق عينين زرقاوين ، فى الحقيقة لم تكن زرقتهما تشبه اى زرقة اخرى .. فلم تكن مثلا تشبه زرقة السماء الباهتة ، ولم تكن ايضا تشبه زرقة البحر الداكنة .. لكن هذه الزرقة التى اسرته تماما الى حد الاحتواء والابتلاع والذوبان وفقدان الهوية ، كانت زرقة غريبة لم تصادفها عيناه من قبل .. ولا يعتقد ان هنــاك عينين تشبهـان لهما فى هذا العالم .. فلم ير من قبل ، ولن يرى عينين تومضان بهذه الزرقة الذهبية .. همس لنفســه مؤكدا « نعــم .. الزرقة الذهبية .. هذا هو أقرب تعريف اليهما .. بالرغم من أنه تعريف سطح ولا يمكنه التسلل الى ما فيها من اسرار موغلة فى السحر والجاذبية .. لكن هذا الضحك السعيد الذى يفيض منهما .. اكنت انا المقصود به ؟ ؟!! » .

سأل نفسه بحذر بينما كان يواصل طريقه الى بيته حيث زوجته التى تنتظره بطعام الغداء ، كعادتها منذ أن تزوجها منذ ثلاث سنوات خلت من عمره .. « هل ما زال فى العمر بقية لمغامرة عاطفية ؟!!

نشر بجريدة البيان ١٩٩١/٢/١١ م .

فى الحال اشاح الرجل الجاد الذى يسكنه مؤنبا « هل جننت ؟!! .. لقد تزوجت .. وسواء أكان زواجك تقليديا أم غير تقليدى ، فلن يغير من واقعك شيئا .. ثم انه الجنون الأعظم يدفعك حظك الى أن تقأ فى حب تلميذتك بالصف الأول الثانوى » .

لم ينتبه الى عيون المارة التى تتابعه بدهشة وأسى ، وهى تصادف رجلا يبدو على هيئته الاحترام والوقار لكنه يواصل سيره منهمكا فى الحديث الى نفسه ، مشوحا بيده اليسرى بحدة بينما يده اليمنى تقبض بعصبية على حقيبة يد فخمة .. غير مبال برباط عنقه الذى يعبث به فى الهواء ويطيره مرة فوق كتفه ومرة أخرى فوق راسه .. بينما المتأمل لوجهه سيزداد استغرابا لهذا التناقض الذى يسيطر على ملامحه بين ثانية وأخرى فمرة تنفرد الأسارير تمهيدا لابتسامة واسعة تشرق من بين شفتيه ، وفى الحال تهرب الابتسامة تمهيدا لانقباض الاسارير من جديد .. ثم يمط شفتيه مندفعا الى الأمام عبر البشر وهو يهز راسه فى اتجاهات مختلفة ومتعاكسة .

حتى وهو يواصل صعوده على سلم بيته .. وقبل أن يطرق الطرقات المعتادة على بابه طرقت راسه امنية سخيفة « لو انى قابلتها منذ عشر سنوات !! »

فتحت زوجته الباب مستقبلة اياه بابتسامتها التقليدية حامدة الله على سلامته حاملة عنه الحقيبة بفرح طفولى كالعادة ، كأنه ابوها قد عاد من الشغل .

وحتى وهو على طعام الغداء ، لم تفارقه العينان الزرقاوان بلمعة الذهب .. داعبه حلم .. حلم يقظة صور له انه تزوجها .. وانه يجلس معها الآن .. رفع عينيه ينظر الى عينيها .. جمد كل كيانه .. توقف عن تناول الطعام .. تعطل فمه عن المضغ !! اضطر الى أن يدعك عينيه أكثر من مرة .. ظن انه قد وقع ضحية لحلم يقظته .. لم يكن ليصدق أن عينى زوجته هى الأخرى زرقاوان بلمعة ذهبية .. انهما نفس العينين اللتين عصفتا به منذ الدرس الأول فى هذه المدرسة التى نقل اليها اليوم فقط كمدرس للغة العربية توجس خيفة على عقله وهو يطيل النظر الى زوجته .. بالتحديد الى عينيها انهما نفس العينين الضاحكتين ، تملكه توتر حقيقى عندما كان يهمس الى نفسه « يبدو أننى أنزلق الى هاوية من الجنون .. لقد صرت رهينة لخيالى المأخوذ بعينى تلميذتى حتى زوجتى !! .. صرت أرى عينيها كعينى تلميذتى » .

انتبه الى كل وجه زوجته .. دهش أكثر عندما رآها متوقفة تماما عن الطعام .. كانت تغرق شفتيها الجميلتين فى ضحكة استغراب .. سألها بارتياب عن السبب لكل هذا الضحك المندهش فأجابت بعتاب وبتنهيدة عميقة : انها المرة الأولى — منذ أن عرفتك التى تتأمل فيهما لون عينى !! .

« تمت »

« عضـــة الكلب المجنـــون »

كانت المرة الأولى التى اسمع فيها عن الكلب المجنون ، دهشت جدا عندما سمعت عسكرى المركز الذى يرافقنى — كعهد قميرى — من مدينتى بالوجه البحرى الى القاهرة حيث مستشفى الكلب الوحيد فى كل مصر — ايامها — وهو ينطق بها مجيبا عن سؤال واحد من ركاب القطار الذى يقلنى أنا والعسكرى .

كم ارتجفت أعماقى الغضة الطازجة عنـدما سـأله الراكب الفضولى الذى يجلس فى مواجهة المقعد الذى يشملنى انا والعسكرى فقط بعد ان اخرج سيجارة لنفسه وسيجارة للعســكرى بعـد أن اشعلها له مقدما اليه معها ابتسامة ودودة تستجدى منه الصداقة واشباع الرغبة فى معرفة سر هذا الغلام الصغير الذى لم يتجــاوز عمره العشر سنوات ومع ذلك يصطحبه العســكرى بزيه الرسمى بحذر شديد وحرص .. ويبدو ان الراكب قد خمن بأنى مجرد لص صغير ، ويبدو أن استنتاجه قد بنى على تلك الحدة التى كان يتعامل بها عسكرى المركز معى .. فلم يسمح لى أن اذهب الى دورة مياه القطار لأتبول .. صرخ فى وجهى كقاتل يفكر فى الهرب : « ابق مكانك والا ضربتك » خفت منه الى حـــد التفكير فى التبول على نفسى .. ظللت ساكنا ومشدودا ، كنت اشعر برغبة فى البكاء لكننى أمسكت

نشرت بالاتحاد الثقافى ١٩٩٢/١/٧ م .

عنه فى اللحظة الأخيرة ، راودتنى فكرة لخلق صـــداقة بينى وبين العسكرى ، لقد منحنى ابى قطعة نقود فضية قال انها عشرة قروش داخل بعضها ، لقد حذرنى ابى وهو يغمزنى بها ليلة أمس بعيدا عن أعين عساكر المركز الذى تحتم على ان ابات فيه كى اسافر فى قطار الصباح الباكر الى مستشفى الكلب همس قئلا : « اياك ان تظهرها لأى عسكرى فى المركز .. لقد أعطيت العسكرى الذى ســيصحبك الى القاهرة ربع جنيه بكامله ليهتم بك ويعاملك معاملة حسنة » .. وبالفعل كان هناك عسكرى يقترب منه .. جاء خصيصا واخذ يهدهد على ظهرى ويمســح على راسى برحمــة اســعدتنى وخففت عنى الخوف من مغادرة أهلى والســفر بعيــدا عنهم حيث أن هنـــاك احدى وعشرين حقنة فى البطن تنتظرنى فى مستشفى الكلب ، هكذا قال لى أولاد حارتنا شامتين ، واعتذر أبى ليلتها بأنه لن يتمكن من المجىء المبكر لتوصيلى الى القطار ، وأن البركة فى الصول (على) الذى سيصطحبنى الى القاهرة .. وهز الصول على رأسه موافقا على كلام أبى ومعطيا الوعود بأنه سيعاملنى اثناء الرحلة كابنة ، وسيشترى لى البيبسى والنعناع .

وفوجئت فى الصباح بمن يوقظــنى من العســاكر بضـــيق وكراهية ، ولم يكن الصول (على) الذى أوصاه ابى على موجودا ، سألت عنه فقالوا انه انهى نوبة حراسته وذهب الى بيته ، ادركت فى الحال أن ابى قد خدع ، وأن الربع جنيه قد ذهب الى من لا يستحقه داعبنى أمل تمنيت من أعماقى ان أرى والدى منتظرا لى محطة القطار ليسلم على قبل السفر .. ليعرف أن الصول (على) قد خدعه ، ولكى يعطى هذا العسكرى المتجهم الحانق ربع جنيه آخر حتى يفك

تجهمه نحوى وليشترى لى النعناع والببسى فى القطار .. لكن أملى خاب .. لم يحضر أبى .. وسألنى العسكرى بسخرية وحقد قبل أن يدفعنى الى داخل القطار قبل ان يتحرك بدقيقة واحدة : « أليس لك أهل يسألون عنك ؟!! أيتيم الأب والأم انت ؟!! » أحسست لحظتها بالمهانة والذل ، اغرورقت عيناى بالدموع فى صمت سارعت بتجفيفهما بظهر يدى ، كنت أريد ان أوضح له أن الصول (على) اخذ من أبى ربع جنيه بعد أن كذب عليه .. لكن اختناقى بالعبارات حال دون ان انطق بكلمة واحدة ، ويبدو ان هذا التصرف منى قد اثار غضب العسكرى وضيقه اكثر واكثر لذا صرخ فى بصوت مسموع جذب انتباه بقية الركاب فى القطار الذى شرع يتحرك : « أيتيم واخرس ايضا ؟!! »

تحولت عزة نفسى الذليلة المتهاوية الى تحد وكبرياء فجأة ، وقررت ان اعرفه من انا فتماسكت ونطقت فى وجهه بشراسة فرخ صغير : « أنا لست يتيما .. انا تلميذ فى المدرسة فى الصف الرابع الابتدائى .. وأبى اعطى الصول (على) ربع جنيه بكامله » .

صرخ فى وجهى بصوت مرتفع ايضا « اخرس يا ولد وكفاية تهم بلطلة » خرست وانكمشت حول نفسى واعدت ترتيب التلفيحة الحرير الذى اعطاها لى ابى ليلة امس عندما شعر ببرودة الجو فى المركز .. نزعها من حول رقبته ووضعها حول رقبتى ، واوصانى بألا اضيعها ، شددتها حول رقبتى .. طلبت من العسكرى أن اذهب الى الحمام اكثر من مرة .. كان يرفض باصرار .. لكن الذى أزعجنى حقا هو هذا السؤال الذى طرحه الرجل الذى منحه

السيجارة : « ما جريمته يا حضرة الصول ؟ » قالها وهو يسدد سبابته الى عينى وكأنه على وشك ان يخلعهما .. تملكتنى مشاعر العزة مرة ثانية وصعبت على نفسى العزيزة .. ففى لحظة يحوننى شك الناس الى مجرم .. لمجرد اننى طاردت بالأمس كلبا غريبا عن حارتنا مما جعله يستدير الى ويهجم على ويعضنى .. واشاع الناس أن هذا الكلب هو مجرد كلب مسعور .. ونصحوا ابى وامى بشدة بضرورة التوجه فورا الى مستشفى المدينة حتى يرسلنى فى الحال الى مستشفى الكلب فى القاهرة للعلاج والا ساصبح انا ايضا مسعورا اعض كل من حولى ، ويكون مصير الجميع الموت .. هذا الكلام كان كفيلا بأن يثير الفزع والرعب فينا جميعا ، وفى الحقيقة كنت أكثر الفزعين المذعورين عندما تخيلت نفسى بعد ان تحولت الى طفل مسعور وخفت على اختى الصغيرة التى احبها .. خفت عليها جدا لأننى اعلم انها ستكون اول من اعضهم ، لذا طلبت منهما ان يصحبانى فى الحال الى المستشفى الذى احالنى بدوره الى قسم الشرطة لتسليمى كعهدة الى مستشفى الكلب ، ثم يأتى الآن هذا الراكب الكريه ويشك فى ان العسكرى قبض على لأننى مجرم ؟ .. اردت أن ارد على الفضولى الوقح .. لكن العسكرى سبق واجابه بعد أن تذوق سيجارته بلذة : « عضة كلب مجنون » .. استغربت هذه التسمية . ظننت ان العسكرى لا يعرف المسمى الحقيقى « عضة كلب مسعور » اردت أن اذكر بها العسكرى لكنا تراجعت خوفا من سخريته ، كما اننى خمنت بأن هذه التسمية ربما كانت التسمية الرسمية التى يتعامل بها العساكر والمأمور مع الكلاب المسعورة دسست اصابعى فى جيبى حيث ترقد القطعة الفضية التى

أوصانى ابى بالأمس بألا اظهرها لأحـد .. ترددت فى اخراجهـا واعطائها الى العسكرى .. كنت أرغب فى أن اكسب رضاه حتى يسمح لى بالذهاب الى دورة المياه لأتبول ، كما أننى شعرت تجاهه بالعطف لأن الصول على ظلمه وخدع ابى واخذ منه الربع جنيه ، بينما هذا العسكرى لم يأخذ اى قرش احمر بالرغم من أنه هو وحده دون غيره سيتحمل مشقة السفر بى الى القاهرة ، كما أنى اقنعت نفسى بأن ابى لو كان موجودا ورآه لفعل معه مثلما اود أن افعل معه انا ، بل ربما اعطاه هو الآخر ربع جنيه بكامله .

فى لحظة عم كل كيانى فيها الحياء والخجل والخوف تسللت اصابعى المرتجفة قابضة على القطعة الفضية منتهزا فرصة تشاغل الراكب الفضولى الذى يتابعنا منذ أن ركبنا أمامه .. كان قد تشاغل بمتابعة راكبة مركزا بصره على نهديها النافرين ووجهها الابيض وراح يلعق شفتيه بعد كل نفس من السيجارة .. غمزت العسكرى فى فخذه .. انتبه الى .. وثبت عيناه الى أصابعى المتقلصة وقد اخـذت تتفتق عن القطعة الفضية . رفعت أصابعى اليه بعينين متوسلتين ليقبلها دون فضيحة .. لأول مرة منذ ان رايته فى هذا الصباح ارى شفتيه تفتران عن ابتسامة انسانية حقيقية .. نظر حولنا أولا قبل أن يسألنى هامسا بود اذهلنى : « أمعك غيرها ؟ » .. اجبته فى الحال مقسما باخلاص : « **والله العظيم** ما معى غيرها » زادت دهشتى عندما لمحت مشاعر انسانية طيبة ورقيقة تسيل فوق وجهه ، لم يعد الوجه المتجهم الذى كانه .. تدفقت فى قلبى أحاسيس الصـداقة المتوجسة نحوه .. هدهد على ظهرى قائلا بأبوية : « احتفظ بهـا

لنفسك يا ابنى .. قد تحتاج لشراء شىء وانت فى المستشـفى »
وقبض على أصابعى وبداخلها القطعة الفضية وحركها الى جيبى
مرة أخرى .. احسست ناحيته بالأمان .. مد يده يتحسس التلفيحة
الحرير الملفوفة حول رقبتى . وهمس الى كصديق : « قد احتاج
الى هذه التلفيحة لتحميني من البرد وانا عائد من القاهرة بعد أن
اسلمك الى المستشفى » .

اسعدتنى نبرة الصداقة والود التى خاطبنى بها ورد بها الى
كرامتى وانسانيتى التى فقدتها منذ صباح اليـوم ، لذا نسـيت
تحذيرات ابى المتكررة لى بألا أضيع التلفيحة الغـالية فى الحـال
فككتها عن رقبتى وقدمتهـا له ، لـكنه لكزنى بمرح وود قائـلا :
« خليها معك حتى نصل الى القاهرة وننزل من القطار » وقبل أن
أفيق من تلك الحالة النفسية المتناقضة التى احتوتنى تماما ، صافح
أذنىصوته الحنون وهو يسألنى بعذوبة متنـاهية ذكرتنى بصوت
امى : « أتحب أن تذهب الى دورة المياه يا حبيبى ؟ » .

« تمـت »

« المشى فى الهـواء »

كانت فى أعلى درجات انفعالها المدمر .. لم تأبه بتوسلات زوجها اليها « ارجوك ارحمينى من نار شكوكك وغيرتك .. صدقينى انك اجمل امرأة فى هذا العالم .. منذ ان وقعت عيناى على محياك المضىء وجسدك الرشيق الفارع لم تعد هناك اى أنثى أخرى فى حياتى .. لقد صارحتك بكل مغامراتى الماضية .. قبل أن اعرفك كنت رجلا محبوبا من كل النساء .. كنت مطاردا منهن جميعا .. لكن منذ أن تزوجتك لم اعرف كيف تحولت على يديك الى تائب من كل الذنوب .. لقد تحولت الى ولى من اولياء الله الصالحين .. لقد هجرت كل معصية .. فلماذا تشكين فى دائما وتصممين بشكل قاس على اغراقى كل صباح وكل مســاء فى جحيم غيرتك الأنثوية .. مثلك لا يحق لها أن تغير .. الاخريات هن الأجــدر بالغيرة من جمــالك المثالى .. انا لا اطلب منك غير الرحمة .. الرحمة فقط يا زوجتى الحبيبــة .. » .

لم تقتنع بكل توسلاته الصبيانية .. خمنت بينها وبين نفسها ان هذا كله لا يعدو أن يكون من قبيل التمثيل والخداع الذى تمرس عليه كل الرجال من أمثاله .. فهى لم تنس زوج أختها الصغرى الذى خدع اختها لمدة عشر سنوات .. ولم تكتشــف أنه تزوج من غيرها الا بعد أن قتل فجأة فى حادث سيارة .. وتبين للجميع أنه متزوج من أخرى ولديه منها ثلاثة اطفال يقولون له بابا ..

لذا فهى مصممة على الا تكون المغفلة او الساذجة رقم اثنين فى الأسرة .. يجب أن تكون أكثر حرصا وذكاء مع هذا الزوج المدهش فى كل شىء .. فى رجولته وفحولته المرغوبة والمشتهاه من الأخريات .. فى رقة صوته الآثرة للقلوب قبل الآذان .. فمع كل هذا الحب الذى يعصف بكيانها تجاهه لم تمكنه من ان ينجب منها طفلا او طفلة .. قررت رغم رغبته والحاحه أن تؤجل الانجاب الى حين .. وهكذا مر على زواجها منه أكثر من خمس عشرة سنة ولم تسمح لصراخ طفل وليد أن يبدد سكون بيتها معه .. كانت دائما تنقب خلفه فى كل ممتلكاته .. مرة واحدة تسلل الى انفها رائحة عطر غير معتادة .. لم تتركه يهنأ بنومه ليلتها .. راحت تحقق معه حتى مطلع الفجر الى ان اقتنعت بأن العطر وصل الى ملابسه عندما قبل اخته الصغرى حينما كان فى زيارة الى بيت أسرته ..

لكنها اخيرا توصلت الى حل نهائى يريحها الى الابد من هذا الشك وتلك الغيرة التى تشقيها مثلما تشقيه لكنها مشاعر تتملكها بالرغم منها .. قررت أن تمتحن صدق ادعائه بأنه تائب وصار وليا من اولياء الله الصالحين .. فلو وصل الى هذه المرحلة حقا .. لما كان هناك اى داع للشك فى تصرفاته الرجولية ولتحقق لها الهدوء والراحة والسعادة الزوجية الأبدية .. لذلك قالت له بحسم ووضوح » لو كنت حقا وليا من اولياء الله الصالحين لأبديت لى كرامة .. فكل ولى وله كرامة .. ما كرامتك اذن ؟!! «

بانت على وجهه علامات الارتياح النهائى وهمس كمن يخرج آخر أنفاس الشقاء استعدادا لاستنشاق عبير السعادة وهمس فى

تقوى وورع صوفى قادم من خلف الآفاق البعيدة محدثا رنينا كرنين النحاس المختلط بالذهب الخالص : « ماذا تقولين لو تمكنت من المشى فى الهواء ؟ .. سأفتح نافذة شقتنا هذه التى تطل على الطريق العام الواسع من فوق سبع طوابق عالية وسأمشى امام عينيك فى الهواء .. لكن لا تلومى الا نفسك لو اختطفتنى بنات الحور منك وأمام عينيك .. »

ظنت أن كلامه هذا من باب الاستخفاف الرجولى بالذكاء النسائى فأومأت اليه فى تحد واصرار ، بعد أن سترت عنه شعورا باهتا من الخوف عليه ، وقالت بثبات وعناد : « لو كنت صادقا حقا فى ادعائك قم وجرب المشى فى الهواء .. وسأفتح لك أنا بنفسى النافذة » .

فى الحال نهضت متوجهة الى النافذة فتحتها على مصراعيها .. ألقت بنظرة الى أسفل حيث الطريق والسيارات بأحجام صغيرة كلعب أطفال تهرول فى خطين متوازيين ومتعاكسين .. والناس تتحرك ببطء شديد كدمى مريضة .. كل المرئيات فى عينيها اكثر صغرا من واقعها وحقيقتها .. لكنها تذكرت أنها فتحت النافذة لكى تضع زوجها فى الاختبار الأخير ، فاما أن يكون وليا من أولياء الله الصالحين .. أو تجعله الشقى التعيس فى جحيم شكوكها وغيرتها ..تطلعت الى زوجها بعينين نصف مغمضتين فى محاولة أخيرة لمواراة مشاعر الخوف عليه والتى شرعت تجتاح كل كيانها العنيد .. قالت بتردد حاولت أن يبدو اصرارا : « هيا .. هيا .. أرنى كرامتك ياولى الله التائب الصالح » .

سرت فى أوصالها تلك الرعدة التى تصاب بها التلميذات فى بداية لجنة الامتحان وقبل توزيع الأسئلة .. التوقع المرعب اخذ يسكنها .. ما ذا لو سقط زوجها من الطابق السابع الى أرض الطريق الأسفلتية .. بالتأكيد سيتحول الى كتلة من العظام المهشمة واللحم المزق والدماء الساخنة المتدفقة تحت أرجل المارة .. لحظتها لن تسامح نفسها على حماقتها القاتلة هذه .. لكن زوجها لم يعبأ هو الآخر بتردد زوجته الذى كان مرتسما على جبينها .. تقدم الى النافذة .. ارتقى المقعد الملاصق لجدار النافذة .. صار فى مستوى يمكنه من الاعتلاء الى النافذة نفسها .. فكرت فى اللحظة الأخيرة أن تجذبه الى الخلف قبل أن ينتصب واقفا داخل اطار النافذة المفتوحة .. لكن شيئا غامضا فى داخلها حال دون ذلك .. تسمرت فى مكانها كأنها مشلولة وهى ترى قدمه اليمنى تخطو فى الهواء .. ثم تلتها قدمه اليسرى .. لم تصدق عينيها التى فركتهما اكثر من مرة لتتأكد أن زوجها بالفعل يمشى متبخترا فى الهواء دون أن يسقط .. لم تصدق .. صرخت فرحة منادية عليه ليعود بعد أن أثبت لها أنه صار وليا من أولياء الله .. « عد الى يا ولى الله .. ارجع الى حالا .. من الآن سأكون عبدة مطيعة لك .. لن اشكك فى حبك واخلاصك .. ارجع .. ارجع .. ارجوك .. »

وكأنه لم يعد يستمع الى صوتها .. فلم يكلف نفسه بالنظر الى الخلف حيث هى .. لكنها فوجئت عندما رأت عددا من بنات جميلات لم تر مثلهن طوال حياتها يتقدمن فرحات ناحية زوجها الذى بسط يديه لهن هو الآخر .. لم تطق البقاء فى النافذة وبنات الحور

يأخذن منها زوجها الذى ثبت لها اخلاصه .. على نفس المقعد ارتقت الى جدار النافذة .. فى لحظة كانت ساقها اليمنى فى الهواء .. وفى اللحظة الثانية كانت تهوى من الطـابق السـابع على ارض الشارع الأسفلتية .. صارت مجرد كومة من العظام المهشمة واللحم المزق والدماء المتدفقة تحت ارجل المارة المسرعين فى ذعر .. لم ينتبه الى سقوطها غير الكواء العجوز الذى يعرفها منذ اربعين سنة .. همس مترحما عليها : « رحمة الله عليك يا آنسة بهيجة تضيت عمرك عذراء ولقيت ربك عذراء وحيدة دون زوج او طفل » .

« تمت »

(٨)

مشــكلة الــدكتور حســنين

باغتتـــه امه القـــروية بشيء من التوجس والقلـــق : مالك يا (دكتور) ؟ !! .. انني اقف بكوب الشـــاى أمامك منــذ فترة طويلة !! وانت هكذا تحملق في الفضاء دون كلمـــة .. كانـــك لم تشعر بوجودى ؟!!

انتفض جسده منتبها لحضور امه المفاجيء .. استرد عينيه المتوغلتين في شيء ما ... لكنه غير مرئي .. صاح متوجعا مرتعبا كانه يشكو : ثقب (الأوزون) يا أمي !! .. سيقضي على العالم !!

استحال وجه امه الحائر القلق الى وجه أكثر حيرة واكثر قلقا .. بعد ان صدمها ابنها بكلمات غامضة .. انطلقت تنقب بين مخزون مفرداتها اللغوية عن معنى ما شـــكا منه ابنهـــا .. لكنها ارتدت عاجزة .. الا ان كبرياءها ــ وهي أم الدكتور ــ جعلها ترفض التسليم بجهلها بما يتألم منه الدكتور .. فتوكأت على أقرب المعاني التي تداعت الى ذهنها ولامت ابنها مجارية له في الم‍ه : ســـلامتك يا دكتور .. ليس هناك اصعب من وجع الأذن .. لقد نصحتك كثيرا بتغطية اذنيك من البرد . .لكنك لا تســـمع كلامي أبدا ... وهذه هي عاقبة من لا يسمع نصيحة أمه !!

نشرت بجريدة اتحاد ١٩٩٠/١٠/٢٨ م .

عارضها حسنين مستنكرا : أمى أنا لا اشكو من اذنى !! ..أنا خائف من اتساع ثقب (الأوزون) الذى يهدد العالم كله بالدمار !!

هكذا وضع أمه التى تقف امامه شامخة كالنخلة المتباهية بثمرها ـ وجها لوجه امام الغموض من جديد .. اقتنعت أخيرا بأن لجنها ينزعج من شىء ما لا تعرفه هى .. ولم تسمع عنه من قبل .. وكانه بذلك اشعل كل مصابيح القلق الساخنة فى جوانب نفسها . ولم تجد املها من سبيل غير الانحناء بظهرها فى مواجهة ابنها (الدكتور) لتضع امامه كوب الشاى الساخن الذى يساعده على مواصلة الاستذكار وقد فرد فوق الطبلية عددا من كتب الثانوية العامة التى يستعد لدخول امتحانها هذا العام .. لم تتركه ، بل جلست قبالته فوق الحصير وقد تحول كل كيانها الى مرآة عاكسة لكل أحاسيس الفزع والرعب التى تعصف بنفس ابنها البكرى وسالت مأخوذة : لا أفهم يا حبيبى !!.. ماذا يرعبك هكذا !!

تلكأ حسنين للحظات قبل ان يجيبها . انتابته حيرة .. كيف يمكنه أن يشرح لها سبب مخاوفه من ثقب (الأوزون) .. وهى التى لم تحصل على أى قدر من التعليم .. كيف يوضح لها ما وضحه لهم استاذ الكيمياء .. كيف يمكنه أن يبسط لها ما تهدر به وسائل الاعلام فى هذه الأيام .. أنها لم تستوعب مجرد الاسم .. فكيف لها أن تدرك ما يعنيه ومدى النظر الرهيب الذى يحيق بالدنيا كلها .. لكنه على اية حال لم يشأ أن يتركها هكذا خائفة محملقة فيه دون اجابة فقال بهدوء موضحا بلغة حاول ان

تكون بسيطة حتى تفهمها امه : امى . هذه الأرض التى نحيا عليها ونعيش فوق ترابها .. تغطيها طبقة الهواء الذى نتنفسه .. فوقها توجد طبقة اخرى من غاز .. اقصد من هواء .. هذا الهواء يسمى (الأوزون) .. وهى تعزلنا عن الفضاء الخارجى .. أقصد عن السماء البعيدة .. فى نفس الوقت تقوم هى بحماية الأرض ومن عليها من كثير من الأضرار والهلاك .. هذه الطبقة يا امى .. بسبب غازات المصانع وغاز (الفريون) حدث فيها ثقب .. اقصد ان هذا الجدار الذى يعزلنا عن السماء صار به فتحة .. ولذلك فان (الكلور وفلورو كاربون) !!

ولم يدر ما السر المفاجىء الذى تهلل له وجه امه فى لحظة واحدة ينحسر من فوقه الخوف ويكتسى بالراحة والتفاؤل والبشر .. ولم يستطع ان يكمل لها دون ان يعاجلها بسؤال : ماذا يبهجك هكذا يا امى ؟ !!

لم تجبه .. بل سارعت بازاحة الطرحة عن شعر رأسها .. رفعت يديها ووجهها الى السماء داعية ومبتهلة الى الله بحرارة واخلاص : يارب اعطنا الصحة والستر .. يارب حقق أحلامنا ووفق حسنين فى الثانوية العامة ويدخل كلية الطب .. لا تخيب ظن اهل القرية فينا يارب ...

زادت دهشة حسنين لهذا الذى تفعله امه فصاح مستغربا : امى .. ما هذا ؟ !!

لم تجبه .. بل اشارت له بحزم أن يسكت .. فسكت ..

وواصلت دعاءها : يارب تكرمنا فى زراعة القطن هذاالعام والأعوام القادمة .. حتى نتمكن من دفع مصاريف تعليم (الدكتور) حسنين فى كلية الطب و ......

ولم يستطع حسنين ان يتحمل اكثر من هذا فرفع صوته : دهشا ومستهجنا تصرف امه : امى .. اشكو لك من ثقب (الأوزون) .. تتوجهين الى الله بالدعاء ؟ !!

استدارت لائمة له ومؤنبة لأنه قاطعها : مالك يا (دكتور) ؟!! هذا انسب وقت للدعاء . الم تقل انباب السماء مفتوح ؟

تقلص جبينه ضيقا .. بينما افترت شفتاه عن ابتسامة تعجب وشفقة قائلا : أمى .. أمى !! .. أنا لا احدثك عن طاقة القدر .. أنا احدثك عن طاقة (الأوزون) .. تلك التى لو استمرت فى الاتساع فستزداد الحرارة على سطح الكرة الأرضية .. سيذوب الجليد .. سترتفع المياه فى البحار .. ستغمر المياه الكرة الارضية .. ستختفى بلاد ودول كثيرة من على خريطة العالم !! .. انها تسبب السرطان ..

انتفضت مرتجفة صائحة : الله اكبر .. الله اكبر .. اللهم احفظنا يا رب .. وهل هذه الفتحة فوق بيتنا او قريتنا ؟

اجابها ساخطا : الكارثة ستقع على راس كل البشر .. مهما كان مكان الثقب .. يجب أن نتدارك يا أمى .. قبل فناء العالم .

سألته جزعة : والحكومة .. اليس عندها خبر بهذه الفتحة ؟!!

رد عليها بحماس : الكلمة فيها ليست للحكومة .. ان الكلمة هنا للعلماء .. يجب ان نتحرك .. أمى .. لقـد قررت مواجهـة الخطر بنفسى .. سالتحق بكلية العلوم واتخصص فى مادة الكيمياء .. لن ادخل كلية الطب ....

وبرعب وذعر فاق كل ما يحتمـل بأعمـاق ابنهـا من ثقب (الأوزون) هذا .. ضربت أمه صدرها بعنف .. كما لو انها سمعت خبر موت ابنها (الدكتور) فجأة وبصوت ذبيح صـرخت : ماذا قلت !! .. هل جننت يا (دكتور) حسنين ؟ !! .. الن تدخل كلية الطب ؟!! الن تصبح (دكتور) ؟ !! .. كل اهل القرية منذ تفوقك فى شهادة الاعدادية العامة وحصولك على المركز الأول على المحافظة وهم ينادونك (يا دكتور) حسنين .. انا .. أمك .. ينتابنى بين وقت وآخر ألم فى جنبى .. واكتم فى نفسى .. وارفض ان أذهب الى اى طبيب آخر ناذرة بينى وبين نفسى الا يفحصنى طبيب غيرك .. ابوك يضع القرش فوق القرش ونحرم انفسنا لكى نوفر لك ما ستحتاجه من مصاريف فى الكلية .. اختك لم تتجاوز السادسة عشرة من عمرها .. ومع ذلك يطرق بابنا كل يوم عريس جديد .. لانها اخت (الدكتور) .. وبعد كل هذا تأتى الآن وقبل ثلاثة أشهر من الامتحان وتقول انك لن تدخل كلية الطب ؟!! ..

فى مواجهة هذا الانفعال والاضـطراب الذى يعصف بـأمه ويعتصر أنفاسها اللاهثة .. حاول حسنين تهدئتها موضـحا أنه سيكون (دكتور) فى الكيمياء .. سيكون عالما يشار اليه بالبنان لأنه سينقذ البشرية كلها من الدمار .. حاول أن يوضح لها أنه لو كان طبيبا فلن يعالج غير عدد محدود من المرضى فى تخصـص معين ..

لكنه اذا دخل كليــة العلوم فســـينقذ كل العـــالم من خطــر ثقب (الأوزون) . . .

وكانها لم تعد تتحمل هرطقته أكثر من ذلك . . فصرخت فيه معنفة : اسكت . . لا تتكلم اكثر من ذلك كلمة واحدة . . لقد كفرت يا ابن عبد ربه . . انت ستحمى العالم ؟ !! . . هل أنساك غرورك ان الله وحده هو الذى خلق العالم . . وهو وحده الذى يحمى ويدافع عن عبـــاده . . .

توقفت للحظات تلتقط انفاسها . . ثم أردفت موبخة : يبدو ان تدليلنا لك قد افسدك واصابك بالغرور . . ولكن يجب أن تسمعها منى كلمةواحدة . . من يخيب رجاء والديه يخيب الله رجاءه . . قم الآن وتوضأ . . صل ركعتين لله . . استغفره . . فقد يغفر لك . .

ثم نهضت واقفة فى غضب . . مندفعة خارجة من الغرفة بعد ان صفقت الباب بشدة خلفها . . وتركت (الدكتور) حسنين غارقا فى أتون مستعر بالحيرة والارتباك والقلق . . انها مشـــكلة حياته الكبرى . . لابد أن يتخذ فيها قرارا صائبا وحاسما . . هل يلتحق بكلية العلوم ويتخصص فى الكيمياء . . ويواصل دراســـته بتفوق ويحصل على (الدكتوراه) فى طبقة (الأوزون) . . وينقذ البشرية ويحصل على جائزة نوبل للسلام فى العلوم ؟ . . وســيكون محل اهتمام الأوساط العلمية العالمية . . ســـيكون مثل العالم المصرى العالمى فاروق الباز . . انه خريج كلية العلوم أيضا . . ولكن . . رضاء الوالدين . . أبوه وأمه واخته وأهل القرية . . كلهم وضعوا عليه الآمال فى أن يصبح طبيبا . ولن يكون للنجـــاح العـقلى اى

طعم مع غضب الوالدين .. هل اهمل الاهتمام بثقب (الأوزون) هذا لغيرى وأتفرغ أنا لدراسة الطب كى أرضى أهلى ؟ .. ولكن مع ذلك لن أرضى نفسى اذا لم ادخل كلية العلوم .. لماذا حكمت الأقدار ان أكون شهيــدا لرغبــات أهلى ؟!! .. لماذا لا أتمرد عليها واختار طريقى كما اشاء أنا ؟!! .. ولكن تهـديد أمى بغضـبها وغضـب الله على ؟!! و .. و

وظلت هذه الأسئلة الحائرة تلتهم أيامه بنهم .. وفجأة .. وجد نفسه فى مواجهة الامتحان دون أن يستقر على كلية الطب أو كلية العلوم .. وأيضا دون أن يســتوعب ســطرا واحدا من كل المواد التى سيمتحن فيها . فأصــيب باغمــاءة طويلة .. لم يفق منهـــا بعـــد .

« تمـت »

« مجنـــون أمـيرة »

سألته أخته التوام مشاكسة متهكمة : « وماذا يمكنك الآن أن تفعل يا مجنون أميرة بعد أن وصل خطيبها ؟!! »

لم يجب ! .. شرع كحملق فى ملامح وجهها بعينين زائغتين ! .. جفلت ! .. انتفض فى اعماقها احساس بالرعب ! .. لم تره من قبل مثلما هو الآن « يبدو أن المزحة توشك أن تتحول الى حقيقة .. يبدو انه يترنـــح الآن بالفعـل على حـافة الجنـــون ! .. لكن فيما يفكر الآن ؟ !! » .. اعتصرها الفزع بعنف عندما خمنت للحظة انه قد يفكر فى الانتحار الآن !! .. ولم تقدر على تحمل هذا العبء المفاجىء .. صرخت فى وجه أخيها الجامد : « هل هناك فتاة تستاهل منك هذه الحالة النفسية التى تعصف بك ؟!! »

لكنه لم يرد عليها أيضا هذه المرة .. تركها تهــذى .. لم يعد يسمع لها .. لم يعد لديه أى صوت خلاف صوته هو : « لقد حان الوقت .. ها هى لحظة الحسم النهائى .. لن أسمــح لأى مخلوق مهما كان ان يحول بينى وبين الزواج من أميرة .. الموت ثم الموت لابن عمها الدكتور الذى يريد انتزاعها منى .. لن أسمح له ابدا أن يغتصب منى أميرة أحلامى منذ رأيتها لأول مرة مع أختى فى الســـنة الأولى بكلية التربيــة .. منــذ خمس ســنوات .. لم

نشرت بجريدة البيان ٢٧/٧/١٩٩١ م .

يفارقنى طيفها لحظة . فى نومى .. فى يقظتى .. لم أيأس فى يوم من الأيام من استجابتها لحبى .. حتى عندما عرفت من أختى انها مخطوبة الى ابن عمها الذى سافر الى لندن للحصول على شهادة الدكتوراه فى الطب .. لم أفقد الأمل فى الزواج من أميرة »
لقد منى نفسه بأمنيات كثيرة بأن توقع أن خطبة ابن عمها لها ستفشل حتما « حتما ستفشل .. سيفعل مثلما يفعل معظمهم بالتأكيد سيقع فى حب امرأة من هناك .. سيبقى فى لندن مدى الحياة »
..لم ينتظر وقوع ذلك حتى يتزوجها .. بل عجل وتزوجها .. تزوجها فى خياله ! .. كان يستحضرها فى كل وقت ! .. يناقشها فى كل أمور حياته ! .. كان يأخذ رأيها قبل أن يخطو أية خطوة ..كان يسألها عن لون البدلة المفضل لديها قبل أن يخرج لزيارة أحد أصدقائه .. كان دائم الحوار مع طيفها فى طريقتهما المثلى فى تربية أولادهما ! .. كان يأخذ رأيها عن المصيف الذى سيذهبان اليه معا هذا الصيف ! .. وكان يستمع الى طيفها جيدا !.. فى الحال كان يسافر وينطلق معا ـ داخل رأسه ـ الى نفس المصيف ! المقترح كثيرا ما غضب منها .. كان يوضح لها دائما أن حبه العظيم لها لن يحوله أبدا الى رجل خروف .. لكن بالرغم من حبه المجنون لها ! انه سيظل هو دائما .. هو رجل البيت وصاحب الكلمة العليا .. كانت تفرح لسماع ذلك منه .. كان يشعر بالنشوة والاعتزاز بنفسه .. كان تصميمه يزداد بلا حدود فى ضرورة الاقتران بها .. فى ضرورة تحويل كل هذه الأحلام الى واقع ممتع .. لقد حصل على ليسانس الحقوق .. عمل فى مجال المحاماة .. ستكون فخورة بأنها زوجة لأنجح محام !! ......

يبدو أن اخته التوأم لم تشأ أن تترك اخاها هكذا نهبا لأفكار شيطانية .. ان كل ملامح وجهه استحالت فى اللحظات الأخيرة الى ملامح شيطانية !. مرعبة !. بشعة ! .. لا تحتمل !.. لذا ..

صرخت فى وجهه بكل فزع العصر : « ماذا تنوى أن تفعل ؟ !! اياك أن تقتل نفسك ؟! »

للمرة الثالثة لم يجب على صراخ أخته وأسـئلتها الفزعة ترتعش فوق وجهها المأخوذ .. أشاح بوجهه بعيدا عنها تماما .. التصقت عيناه بشكل حاد فى مساحة من فضاء الحجرة . ادهشها هذا الارتعاش الذى سـيطر على شـفته السـفلى ! .. ثم تلك الابتسامة المتحدية .. كأنه يخاطب طيفا لا يراه غيره !! ..

لم يكن هذا الطيف غير طيف عتريس السفاح .. زبون مكتب المحاماة الذى يعمل فيه .. لقد عرض عليه عتريس من قبل خدماته .. لكنه سخر منه .. فما الخدمة التى يمكن أن يقدمها له قتال القتلة هذا . ؟!! .. لم يكن يعرف أنه سـيحتاج اليـه ذات يوم .. لم يخطر بباله أن ابن عمها سيعود اليها ليتزوجها « ليقتلنى أنا ! .. لكن لن أسمح له بقتلى .. سأقضى عليه قبل أن يقتلنى » .

لم يكن من الصعب الاتفاق مع عتريس على المهمة التى كلفـه بها .. رسم معه كل شىء بدقة .. لم يترك له شيئا للظروف .. الموعد قبيل الزفاف بيوم واحد « يجب أن تبقى أميرة عذراء .. لن يمسها بشر غيرى .. ولو أدى بى الأمر فى نهاية المطاف الى قتلها وقتل نفسى .. »

كم كانت فرحته وراحته عندما وفق عتريس فى قتل ابن عمها الدكتور .. كانت جريمة كاملة .. لم يكتشف الجانى .. كم كان بارعا عتريس السفاح فى القضاء على منافسه .. على عدوه الذى أوشك أن ينتزع أميرة من أحضان آماله وأحلامه .. لم يعرف أى مخلوق من القاتل .. لم يعرف سبب الجريمة .. فقط كانت نظرات الشك القاتلة تغرزها أخته التوأم فى قلبه وصدره كلما واجهته .. .. ولذا لم تكن فرحتها كبيرة عندما تزوجت أميرة أخاها .. كان يحاول الهرب من مواجهتها دائمـا .. كان يعتقـد أنه بزواجه من أميرة قد امتلك الدنيا كلها .. صارت سعادته مطلقة .. حتى جاء اليوم الذى طلب منه عتريس السفاح شيئا مستحيلا ، والا أفضى الى زوجته أميرة بسر الجريمة .. كان كلام عتريس حادا وواضحا ولا رجعة فيه : « اما أن تجعلنى أبيت ليلة فى فراش زوجتك .. أو أخبرها عمن دبر جريمة قتل ابن عمها وخطيبها السابق » .

لم يكن هناك غير خيـار واحد أمامه .. سيقوم باسـتدارج عتريس وقتله .. رتب كل شىء .. جهز ميدان الجريمة .. سوف يظهر أمام الجميع كموقف دفـاع عن النفس .. سيسـتدرجه الى بيته .. سيوهمه بالموافقة على طلبه حتى اذا حضر أطلق عليـه مسدسه .. وحضر عتريس .. كان يفوح برائحة الموتى ! .. وما أن هم باجتياز (الصـالة) الى حجرة النوم ــ حيث ترقد زوجتـه أميرة ــ حتى أطلق عليه النار .. لـكن صـدمته كانت كبيرة .. كبيرة .. المسدس لا يطلق نارا !! .. اكتشف أنه أخطأ وأمسك بمسدس لعبة !! .. لكنه لم يصبر .. قبل أن يستدير اليه عتريس بغضب وانتقام .. وثب أمامه .. سبقه الى حجرة نومه .. أغلقها

خلفه بالمفتاح والترباس .. ثم وثب الى أميرة النائمة .. كان يحتضنها بعنف وخوف .. قرر أن يجعل من جسده درعا يحمى شرفها من عتريس الكلب .. راح يصرخ برعب : « سأقتلك ياعتريس ..سأقتلك ياعتريس ... »

أفاق ابو الفضل محجوب عامل السكة الحديد دهشا على صراخ زوجته صبيرة الحامل فى حملها الأول وشهرها الأخير .. كانت تدفعه بفزع وذعر عن بطنها المنتفخ .. بينما يدها الأخرى تحمى بها طفلها فى أحشائها ناعرة زوجها بغضب : أتريد أن تقتل ابنك عتريس فى بطنى ؟ !!

« تمت »

(١٠)

« احــذروا بنـــات متولى »

كان (بمثابة) التنبيه أو التحذير الدائم الذى يجرى على السنة كل الامهات فى قريتنا لأى من ابنائهن ، وخاصـــة من المراهقــين والشباب ، كلما خرج من بيته صباح مساء « احذروا بنات متولى القرداتى !! .. » تنطقهـــا الأم بقلب واجف مرتعش ، ثم تردفها بدعاء مهم ولكأنه التعويذة التى ستحفظ لها ابنها حتى يعود اليها سالما من بنات متولى القرداتى « ربنا ينجيــك منهن ويردك الى أمك سالما غانما » .

قد يخمن البعض أن بنات متولى سفاحات وقاتلات بشعات ، لكن الحقيقة عكس هذا التخمين ، فهن ثلاث بنات ما بين الرابعــة عشر والعشرين ، منحهن الله جمالا غجريا غير معهود فى بنـــات أو نساء قريتنا اللاتى جفت دماء وجوههن بفضـــل بيضـــات ديـــدان البلهارسيا ، وتكحلت عيونهن بلهيب شمس الصيف ، فاستحالت الى احمرار دائم كعفاريت الحواديت .. فلما هبط على قريتنا متولى القرداتى مصحوبا بقرده العجوز ، وبناته الثلاث ، فرح الاطفال بحركات القرد المدرب على تقليد الحركات التى يقوم بها البشر .. ما بين عجين الفلاحة ، ونوم العازب ، وتوجست نســـاء القرية من الغجريات الثلاث .. فبعد النظرات الحاسدة المتحسرة لعيونهن الزرقاوات كسماء الصيف ، وجلودهن البيضاء التى لفحتها الشمس فصقلتها حمرة وتألقا ودموية ، وشعورهن الطويلة الهفهافة خلف

ظهورهن حتى الأرداف .. تفجر خوفهن على رجالهن ما بين زوج أو ابن .. قطبن الجبين فى وجوه بنات القرداتى .. وحتى فى وجه القرد نفسه وصاحبه .. انسلت كل أم ممسكة بطفلها عائدة به محذرة اياه من الفرجة على القرد المتوحش ، ومحذرة لكل رجـال البيت بتحاشى اللقاء مع بنات متولى « الفاجرات صاحبات العيون الواسعة الوقحة الخالية من الحياء والأدب » .

انا عن نفسى : وحتى لا أغضب أمى أطعت تحـذيراتها .. كنت ابتعد عن الطريق الذى يمر من امام البيت القديم المتهـالك الذى استأجره متولى ليقيم فيه مع قرده وبناته .. فى كل صـباح يخرج الى القرى المجاورة ومعه القرد وبناته ويعود الجميـع مع غروب الشمس .. كنت أمنى نفسى باختلاس بعض النظرات غير البريئة الى أجسادهن اللدنة التى يبدو أنها نجت من ديدان البلهارسيا والانكلستوما التى تحتل اجسادنا .. كنت اتحسر بينى وبين نفسى فى صمت بعيدا عن احساس قلب أمى – على حظ بنات متولى .. « ماذا لو كن من أسرة عريقة من القرية ؟! .. لو كن كذلك لفكرت .. بل لقررت فى الحال ان اتزوج بواحدة منهن .. لكن هكذا الدنيا لها تصاريف غريبة !! » .

لكن تحذيرات أمى لم تسـتطع ان تحول دون التـدخل منى بشهامة لأمنع تحرش احد شباب القرية الذى لم يستجب لتحذيرات أمه من بنات متولى .. لم أجد بدا من الاقتراب من استغاثة صوت نسائى خجل مع غبشة المغرب ، وبينما كان صوت المؤذن يرتفع لاقامة الصلاة .. أسرعت حيث تبينت صديقى عمر أبو سعيد الطالب

فى السنة الاخيرة بكلية الحقوق يحاول مد يده الى الابنة الوسطى لمتولى القرداتى ، وهى تبتعد عنه معنفة ناهرة ، وهو يواصل محاولته .. لكنه ما أن احس بحضورى حتى تغيرت هيئته وصرخ فيها محذرا « لو لم تحترمى نفسك وتحترمى مشاعر أهل القرية وتقلعى عن الذهاب الى طبيب الوحدة الصحية كل مساء فسأبلغ الشرطة عنك وعن اخواتك .. انا وزملائى وكلاء النيابة ولن أسمح لكن بالاساءة الى سمعة قريتى وبناتها ... » لم تجبه بكلمة واحدة ، بل هزت كتفها الايمن ساخرة ،وانسحبت، دون أن تنظر خلفها ، وجدتها فرصة لكى أنصح صديقنا بالابتعاد عن سكة بنات متولى وكأنى اقنع نفسى بصدق ما أقوله .. حاولت أن اقنعه بالابتعاد عنهن موضحا انه ما دام لا يقبل على اخته ان يتعرض لها احد ، فينبغى عليه ايضا الا يتحرش ببنات الناس . ثم ان مستواه العلمى يمنعه منهذا ، لم يشأ أن يسلم لى بحقيقة ما رأيته بعينى ، وأنه كان فقط يحذرها حتى تقلع عن زيارتها الليلية المتكررة الى سكن الطبيب الأعزب ، وأنه بنفسه راها أكثر من مرة .

وفى مواجهة عدم تصديقى لما يقول أقسم انه سيثبت صحة ادعائه فى أقرب وقت ، من جانبى حاولت رده عن فكرته فى السعى لدى صديقه وكيل نيابة المركز لاخطار الشرطة بعمل كمين لبنات متولى ، وخاصة تلك التى تتردد على سكن الطبيب ، توسلت اليه — فى ظل اصراره — الا يفعلها وأن يستر على بنات الناس ، لكنه ازداد عنادا وتصميما ، وكأنه أراد أن يجعل اصراره هذا قرينة اثبات على نفى ما رأيته منه بعينى فى غبشة المغرب مع بنت متولى ..

لم يستجب عمر لرجائى بالستر على بنات متولى ويتركهن لله ليحاسبهن على معاصيهن ، ففى مساء اليوم التالى كنت واحدا من شباب القرية الذين اخطرهم عمر بضرورة التواجد بالقـرب من السكن الخاص بالطبيب لمشـاهدة الشرطـة وهى تقبض على بنت متولى متلبسة بممارسة الدعارة ، فى الحقيقة انتفض كل بدنى لسماعى هذا منه .. شعرت باشمئزاز تجاهه وهو يصف المشـهد المتوقع بكامل احساسه بالنصر على بنت متولى التى رأيتها بنفسى وهى ترفض تحرشه بها .. فكرت ان اذهب اليها واحـذرها .. حتى لا تذهب الى الطبيب هذه الليلة وتتجنب الفضيحة . لكنى بصراحة تراجعت خائفا .. فربما أوقعتنى هى فى مشكلة وحرج أنا غنى عنه .. فكرت ان اخطر الطبيب كى يترك السكن هذه الليلة .. لكنى تراجعت ايضا دون سبب واضح .. ربما نمت فى اعماقى رغبـة خبيثة لمشاهدة فضيحة لانسان غيرى .

فى الموعد المحدد وجدت نفسى واحدا من شباب القرية الذين تجمعوا على مقربة من سكن الطبيب نكتم انفاسنا فى الظلام ، ومعنا بعض رجال الشرطة ومعهم أمر من النيابة بتفتيش سكن الطبيب .. فقط ينتظرون وصول بنت متولى كما رسم لهم عمر بالضـبط كل الخطوات والمواعيد .. بعد لحظات احسسـت برعب يتخلل كل اعصابى عندما رأينا شبح بنت متولى يقترب منا متجها الى السكن .. كانت تلف نفسها بثياب طويلة فضفاضة .. لم يكن يبـدو من ملامحها شىء .. وكما قال لنا عمر من قبل .. اقتربت من الباب .. دفعته ودخلت .. يبدو أن هناك اتفاقا بينها وبين الطبيب على ترك

الباب مفتوحا حتى لا تضطر لطرقه وتلفت الانتباه .. بعد وقت مناسب اقتحمت الشرطة المسكن .

لم يصدق احد منا عينيه ، ولا حتى عمر نفسه أن التى قبضت عليها الشرطة لم تكن بنت متولى ، بل سقط بيننا فاقد الوعى خجلا ، عندما تأكد أنها أخته سامية الطالبة بالثانوية .

((تمت))

« عندما ينصـهر الجليـــد »

انتفضت من نومها مذعورة هلعة . للمرة الثانية .. فى نفس الليلة .. ارتعاشات جليدية تتخلل كل أطرافها .. أنفاس مختنقة تتصاعد بمشقة .. بقايا صور من الـكابوس .. نفس الـكابوس .. هلامى الملامح .. غامض الوقائع .. اعتصرت مراكز التذكر فى مخها .. تحاول الاقتراب من الشخوص والأحداث .. للمرة الثانية تخونها الذاكرة .. لم يســطع فى سقف عقلها غير وجوه شــمعية متميعة توشك ان تذوب .. صور مختلطة مشوشة .. سكاكين .. قطع من لحوم بشرية تتساقط من فوق رأسها .. الوان الدم الأحمر والليل الأسود .. نباح كلاب .. عواء ذئاب .. همســات مجهولة المصدر اقرب الى فحيح الأفاعى ..

بتوجس وقلق راحت تدعك جبهتها بأناملهــا المرتجفــة .. أحاسيس الخوف من المجهول الغامض باتت تخيم فوق أعصــابها المحترقة .. لم تشعر بمثل هذا العطش من قبل .. حلقها تشقق مثل ارض الشراقى .. اعتدلت من رقادها .. مــدت بصرها عبر اضواء الحجرة الخافتة الى زجاجة الماء فى متناول يدها اليسرى .. قبل أن تصل الى الزجاجة .. نباح الكلاب من جــديد .. نفس النباح الذى سمعته فى الحلم .. لكنها تسمعه هذه المرة فى الواقع

نشرت بمجلة زهرة الخليج مارس ١٩٩٠ .

.. فى اليقظة .. انه يغمر طرقات الليل التى تحيط بالمسكن الذى تقيم فيه مع زوجها منفردين .. دون أطفال .. ليست المرة الأولى التى تسمع فيها نباح الكلاب يبدد أمن الليالى . تسمعه فى كل ليلة ..منذ أن كانت طفلة صغيرة وهى تسمع نباح الكلاب .. لم تكن تفزع منه .. ربما تسربت الى نفسها بعض المخاوف اذا ما خرج نباح الكلب فى شكل عواء طويل .. انه فأل سىء .. ان معناه أن ملك الموت قد جاء ليقبض روح أحد الأعزاء .. كانت تخاف على أبويها وأختها الكبرى .. أنهم أعز الناس لديها .. لكن نباح الكلاب الآنيطبع فى أعماقها صورا من الرعب الثقيل .. لم تعد تتحمل جفاف الحلق واحراقه اكثر من ذلك .. مدت يدها انتزعت زجاجة الماء .. أفرغت أكثر من نصفها فى جوفها .. شعرت بقليل من الهدوء عقب ذلك .. وضعت الزجاجة مكانها .. استدارت الى زوجها الراقد بجوارها .. نظرت اليه .. تأملته للحظات .. هزت رأسها وضمت شفتيها الرقيقتين فى ضيق .. جثة ضخمة .. كأنه هضبة التبت غارقة فى محيط هادىء من النوم .. مالت ناحيته .. رفعت يدها .. اقتربت بها من كتفه .. ترددت قبل أن تلمسه .. همست لنفسها بأسى : سينهض ساخطا على جبنى وخوفى .. سيطلب منى النوم وترك الكلاب تنبح كما تشاء .. ثم يعود الى نومه الهادىء من جديد .

لكنها قررت باصرار أن توقظه من هذا الثبات . وليقل ما يشاء .. على الفور اخذت تهزه من كتفه وصدره هزات رقيقة أولا ، ثم هزات عنيفةعندما لم يستجب لها .. بينما كان نباح الكلاب

الكابوسى يتضخم ويتضخم حتى احتل كل كيانها وغمر كل خـلايا اعصابها .. راحت تدفعه بجنون : سعيد .. سعيد .. ألا تسمع نباح الكلاب غير العادى ؟! .. اخشى أن يكون هناك لصوص ..

تململ فى رقاده متأففا .. من خلف أسوار النعاس الشاهقة غمغم : أف .. ماذا جرى لك الليلة .. هذه المرة الثانية الليلة .. اتركى الكلاب تنبح كما تشاء .. تخلصى من خوفك وجبنك .. نامى .. انا لم أشبع نوما بعـــد .

من جديد تركها وحيدة مع افكارها المرتبكة .. تخلى عنها فى الشدة .. لا تريد منه أكثر من صوته .. بضع كلمات تبدد الوحشة التى احتلت أركان نفسها .. لم يعبأ بهذه المشاعر الثعبانية التى تنهش احشاءها ، ثم تزحف وتزحف تحت جلدها ، فيقشعر ويرتجف ويصاب بالخدر .. قذفته بنظرة غاضبة مستهجنة شملت جســده الهائل .. لم ينتظر .. لم يعتب عليها .. لقد سبقها والقى بنفسه فى احضان النوم .. فى لحظة استحال الى فوهة قارورة فــارغة يغرقها طفل فى أعماق الماء رغم انفهــا .. شرع يبقبق ويصـــفر .. تكدس شخيره الرعدى داخل جدران حجرة نومهما .. أحست بان الحجرة ستنفجر بهما .. ان استمراره فى ذلك سوف يصيبها بالصمم ..فكرت فى ايقاظه من جديد .. لكنها أشاحت بيأس فى وجه الفكرة .. (لقد شبعت من اتهامه لى بالجبن والخوف .. سأصبر .. سأضع اصابعى فى أذنى واتحمل) .. توقفت عن التفكير للحظة .. ارتاحت الى حد ما .. ومضت فى ذهنها بصورة مكثفة بعض من الأحداث التى مرت بها اليوم .. ومضات سريعة سريعة ..لم تدر

لماذا توقفت فجأة أمام هذا الحدث الذى عاشته فى حجرة المعلمات بالمدرسة التى تعمل بها معلمة لمادة الجغرافيا . تسرب اليها احساس بالنشوة وهى تقترب من هذا الحدث .. ربطت فى ثانية بين ذلك الحدث وبين الكابوس الذى نكد عليها ليلتهـا .. اكدت لنفسـهـا مطمئنة : حقا .. أن أحلم هو انعكاس لأحداث عشناها من قبل .. هكذا قال علماء النفس ..

ولأول مرة الليلة تشرق فوق شفتيها ابتسامة .. لم يـكن مبعثها سعادتها بتفسير الكـابوس وتبريره .. لكنهـا تـذكرت زميلتها « شكرية » معلمة التربية الفنية . عندما دخلت الى حجرة المعلمات فى اثناء حوار حاد وملتهب نشب بين الزميلات .. بعضهن يعارض ذبح الزوجات لأزواجهن والذى فاضت به وسـائل الاعلام .. مدعيات بأن ذلك السلوك هو الجنون بعينه .. والبعض يؤيد .. بحجة أن الزوجة لن تقدم على مثل ذلك العمل الخطير الا اذا كان الدافع قويا .. لابد أن زوجها كان يسقيها مر العذاب .. وتمسك كل فريق برأيه .. لاحت فى جو الحجرة مقدمات شجار .. تكهرب الجو تماما .. لم ينقذ الموقف غير دخول (شكرية) .. هى كعادتها لديها قدرة خارقة على تحويل اكثر المواقف جدية الى مزاح وضحك .. صاحت فيهن جميعا وبنبرات جـادة : من ابنة الحـلال التى ستقرضنى كيس قمامة وساطورا ؟ ..

قبل أن نسأل مأخوذات عن السبب .. استطردت موضحة : لأننى بعون الله وتوفيقه قررت أن أذبح زوجى « عبده » .. الليلة عندما يكون ساجدا فى الركعة الثانية من صلاة العشاء ..

انفجرنا جميعا بالضـــحك .. نسينا نقاشـــنا الحـــامى .. عاجلتها زميلة مســـتفسرة بخبث : هل ســـيكفيك كيس واحد فقط يا شـــكرية ؟ !!

بسرعة بديهة اجابتها : نعم سيكفى .. لأن زوجى ضئيل ..

تملكنا ضحك هستيرى .. لم يتوقف ضحكنا الا عندما خاطبتنى بصوت عال طغى على كل الضـــحكات المتواصـــلة .. قالت بأسى وحزن كأنها تواسينى : مسكينة يا آمال يا حبيبتى .. كان الله فى عونك .. ستحتاجين الى اكثر من عشرين كيسا .. زوجك سمين جدا .

تدخلت زميلة تتصنع المواساة بينما كانت تستر ضحكها : ربما لن تقدر عليه .

ردت شكرية متعاطفة : ولا يهمك يا آمال يا حبيبتى .. فقط أخبرينا عن الوقت الذى تنوين فيه ذبحـــه .. وســـنحضر جميعـــا لمســـاعدتك ..

وبعد لحظة صمت اضافت شكرية مستدركة : ما رايكن .. نشترك جميعا فى جمعية .. ونشترى مجزرا آليا ، بدلا من تعب القلب .

أفاقت من تفكيرها على صوت ضحكنها المسموعة .. سحبت كفيها من حول اذنيها .. بتلقائية كممت فمها .. كتمت الضـــحكة تفحصت عينى زوجها مبتسمة بخجل .. تطايرت أحاسيس الخجل عندما اطمأنت الى أن زوجها ما زال يغط فى عميق نومه .. لم يرها

تضحك مع نفسها والا اتهمها بالجنون .. لم تنسحب بعينيها من فوق تضاريس وجهه .. رغم ازعاجه لسكون الليل بهذا الصفير والشخير الا انه ينـام مثل الأطفال .. استسلام كامل .. ضعف كامل .. كأنه من الأموات .. تملكها احساس بالامتعاض والاحتقار عندما خمنت لنفسها بأن الزوجات القاتلات ربما استغلت كل واحدة منهن بخسة وجبن لحظة استسلام مثل هذه اللحظة .. أضافت باستنكار بالغ : لا يمكن أن يقع هذا الفعل من انسانة سوية .. كيف تسول لها نفسها قتل انسان .. وكيف اذا كان هذا انسان هو شريك حياتها !! .. انا لا أستطيع ذبح دجاجة .. أخاف من رؤية الفأر حتى ولو كان ميتا .. كيف بها وهى تهوى بسكين او ساطور على جسد بشرى .. كيف يمكنها رؤية الدماء تنفجر من شرايينه .. كيف استطاعت تقطيعه وتشفيته ووضعه فى اكياس القمامة .. كيف تركت أصابعها تغوص بين لحمه ودمائه وأمعائه .. لابد أنها مزقت الأمعاء .. بالطبع سال منها الغذاء غير المهضوم والفضلات ..

لم تستطع الاستطراد فى تخيلها .. لد اجتاحها اعصار من التقزز والقرف .. ضرب حلقها .. تقلصت معدتها .. شعرت بالغثيان .. خنقتها رغبة عارمة مفاجئة فى القىء .. وثبت بخفة من فوق السرير مسرعة الى الحمام .. لم تتمكن من ارتداء « الروب » لتستر جسدها الأبيض الجميل .. كانت شبه عارية .. افرغت كل ما فى معدتها بينما كانت تحجب عينيها بكفها فى محاولة لحجب الأحيلة المقززة بعيدا عنها .. فكرت فى امتصاص ليمونة .. لعلها تهدىء من بقايا التقلصات التى تعبت بمعدتها .. توجهت

الى المطبخ .. دلفت اليه .. ما ان كادت تشعل الضوء حتى وجدت نفسهـا فى مواجهة رجل غريب .. بجسدها شبه العارى المثير .. تسمرت مكانها مذعورة .. احتواها الثلج فجاة .. ارتعـدت كل اطرافها قبل أن تصرخ بصوت مبحوح متحشرج : حرامى يا سعيد .. لم يمهلها اللص .. وثب نحوها .. بلحدى يديه كمم فمهـا .. باليد الأخرى احاط ذراعيها بجانبها .. همس اليها محـذرا بأنه سيقتلها لو اخرجت صوتا واحدا .

بقيت لفترة لا تعرف شيئا عما حولها .. كانت خائرة القوى مستسلمة .. ترتجف وترتجف .. لم تعد قادرة على النطق بحرف واحد .. لم تعد قادرة على تحريك اى عضو من اعضاء جسـدها .. كأنها شلت تماما .. كانت فى شبه غيبوبة .. الخدر الجليـدى اللعين الذى الم بها عقب الكابوس هو نفسه الذى تستشعره الآن ..

فجاة .. كمن يفيق بلسعة عقرب .. أفاقت هى .. بدأت تشعر باصابع اللص وكفه الخشـن تعبث بنهديها .. تدلك صدرها .. انتفضت بداخلها احاسيس جديدة مغايرة .. كانت فى ثـورة البركان .. لم تدر كيف انصهرت كل الثلوج من حول جلدها .. استشعرت دفئا يسرى فى دمائها .. نيران مستعرة شـبت داخل احشائها .. لم تعرف كيف تحولت الى نمرة شرسة .. طوحت بكل الخوف بعيدا .. تضاءل حبها لحياتها أمام احاسيس العار التى يريد ان يسببها لها هذا اللص .. لامت نفسها بمرارة عندما ادركت أن استسلامها وارتعادها واستكانتها فى احضـان اللص شـجعه .. أسال لعابه لاغتصابها وتلويث شرفها .. شعرت بمـارد جهنمى

يتقمص كيانها كله .. عضت يده التى تكمم فمها .. أفلتت من بين يديه .. وثبت مبتعـدة عنه .. لمحت تحفزه للانقضاض عليها من جديد .. طوحت بعينيها فيماحولها .. التصقت عيناها بسـكين المطبخ .. التقطتها .. تمسكت بها .. قبضت عليها بقسوة واستماتة .. تحولت الى قطعة منها .. بتلقائية تحركت يدها اليسرى تستر عرى صدرها .. لم تزل تلهث .. تكاد تسمع وجيب قلبهـا .. عيونها المتحجرة مفتوحة فى ترقب .. تصدر تحذيرات وتهديدات صامتة .. لو اقتربت سأقتلك .. استهان اللص بالتحـذير من امرأة كانت ترتجف فى أحضانه منذ قليل .. غافلها .. وثب نحوها .. قابلته بالسكين .. نفذت فى صدره .. تدفق الدم بلونه الأحمر .. تذكرت الكابوس .. نظر اليها مأخوذا دهشا .. عيناه الجاحظتان تسألان .. كيف استطاعت ؟!! .. لم تعر دهشة عينيه اهتماما .. تخيلت نفسها لو تمكن منها هو واغتصبها .. فارت من جديد .. تملكتها رغبة جنونية للثأر لشرفها .. اقتلعت السكين .. غرسته فى صدره .. فى بطنه .. فى كل جسده .. لم تتركه الا بعد أن تحول تماما الى جثة هامدة .. كتلة من اللحم والدماء لا حراك فيها .. سقطت عيناها منها على الدماء المختلطة بمـا تفجرت عنه معـدته وأمعاؤه .. لكنها لم تشعر بالغثيان .. لم تشـعر بالقـرف .. تعجبت لأنها لم تعد تشعر بأى اشمئزاز .. كانت نشوة النصر هى التى تغمرها .. همست لنفسها بسعادة : كم هو لذيذ وجميل هذا الاحساس .. الانتقام للشرف ..

كست وجهها للحظات ابتسامة متوحشة مجنونة .. نسيت ابتسامتها الطبيعية الحلوة .. كانت غريبة عن نفسها بينما راحت تتابع الجثة فى صمت .. وبصورة مفاجئة اندلقت بكل كيانها فى بكاء حار عندما سمعت شخير زوجها يتصاعد ويتصاعد مختلطا بالبقبقة والصـــــفير .

((تمـت))

((فيضـــــــان))

ما أن ألقت بكل ما تسوقته ، وبـكل كيانهـا المنهـوك الى أعماق مسكنها المحروم من صياح الأطفال ، حتى توجهت فى الحال الى غرفة نومها لتبدل ملابسـها وتتجفف من عرق هذا اليوم القـائظ .. لكنها ما أن فتحت باب حجرة نومها على مصراعيه حتى فوجئت بهبة هواء نجسة تصفع عينيها . اجفلت صارخة فى الحـال .. دعكت عينيها مرة ثانية بظهر يديها .. ظنت انها تخلصت من اثر الصدمة .. فتحت عينيها مرة ثانية .. لكنها لم تعد ترى اى شىء امامها .. لم تعـد ترى غير طـائرين من طيـور النورس البحرية يتصارعان فيما بينهما بطريقة دموية .. كان الصراع على سمكة بيضاء وديعة .. رغم ان عينى السمكة تشعان بالحياة .. رغم ان مظهرها يؤكد بقاءها على قيد الحياة .. الا ان المدهش فى أمرها انها لم تقاوم أو تحتج .. كأنها كانت تعرف مصيرها جيـدا .. لقد فقدت الرغبة تماما فى بذل اى جهد قد يزيحهـا عن البلعومين الشـــرهين ..

مرة اخرى رفعت السيدة صابرين الأيوبى يديها البضتين فى بياض النور ، لتدعك جفنيها .. لعلها تحلم ؟! .. لكنها فوجئت من جديد أن عدد النوارس قد تضـاعف فى كل عين على حدة ..

نشرت بجريدة البيان ١٦/٤/١٩٩١ م .

انتابتهاالدهشة من جديد لأن الصراع كان محتدما فى صمت كامل .. لم تكن تسمع اى صراخ أو حتى أية انفاس جحيمية .. كانت كمن يرى فيلما صامتا ..

يبدو أن صرخة صابرين الأيوبى الفاجئة قد حولت زوجهـا وصديقتها الوحيدة الى تمثالين يونانيين قديمين فى صمتهما وعريهما فوق سرير حجرة نومها .. لذا فقد اختلط لديهمـا العار بالخوف بالخجل فى احساسهما عندما تسـللت هى خارجة من مواجهتهمـا متحسسة طريقها كانسـان اعمى ، بينمـا كانت تهمس لنفسـها بصوت دهش ومسموع : لمـاذا تتضـاعف فى عينى هذه النوارس المسعورة ؟! انها تحجب عن عينى الرؤية تماما !! .. عندما يأتى زوجى سيصطحبنى حتما الى طبيب عيون .

نظر زوجها الذى واصل ارتداء ملابسه الى زوجته مستغربا .. ثم رشق وجه عشيقته المرتجفة بسؤال صـامت لكنه نافذ « هل أصابتها الصدمة بالعمى الهستيرى ؟!! » ..

لم يقصر زوجها فى عرضها على العـديد والعديد من اشـهر أطباء العيون .. الى ان أجمعوا على أن فقدان الرؤية بسبب صدمة نفسية .. وكانت النصيحة له حاسمة وقاطعة بضرورة عرضها على طبيـب نفسى . وبالرغـم من خوفه من الطبيب النفسى الا انه لم يتلكأ طويلا .. عرضها على الطبيب النفسى الشـهير ..

بالرغم من شهرته فى علاج هذاالنوع من الأمراض الهستيرية الا أنه لم يفلح فى الكشف عن مخبوئها اللا شعورى .. فقط كانت

تكرره فى كل جلسة انها تشعر دائما انها مجرد سمكة .. سمكة وديعة .. وان مكانها الطبيعى هو ماء البحر .. كان صمت وحسن استماع طبيبها النفسى يشجعها على الاستطراد فى تحليل السبب الذى يفجر فيها هذا الاحساس « ربما لأن أمى رحمة الله عليها — كانت تقول لى أننى مائية التكوين .. وأن زوجى سيكون محظوظا بى لأننى عاقلة ، وصابرة ، وطويلة البال ، ولا انفعل كثيرا بعكس أختى شمس النهار ذات التكوين النارى .. فهى ثائرة وعصبية دائما .. »

اقتنع الطبيب النفسى الشهير بأن المريضة صابرين الأيوبى ليست مريضة .. لكنها تتظاهر بالمرض .. لم تجزع صابرين لسماع ذلك منه .. ادركت فى الحال انه يحاول هو الآخر ان يبرر فشله فى علاجها .. لكنها — كعادتها — تحملت بمرارة اتهامه لها ، ولم تنطق بكلمة .. فقط تذكرت موقف زوجها منها منذ عشر سنوات عندما أكد لها الأطباء انها صالحة تماما للانجاب .. وان العيب الوحيد فى زوجها .. ولم تنطق بذلك لأحد .. حتى الى أمها قبل وفاتها .. وتحملت أيضا اتهام زوجها لها بأنها السبب فى ضياع نسله .. وادركت أن زوجها يحاول أن يبرر فشله فى الانجاب .. يحاول أن يفسح لرجولته مكانا بين الناس على حسابها .. وتحملت بمرارة .. صبرت ولم تنطق بذلك لأحد .. ولا حتى الى صديقة عمرها وجارتها (وفاء) التى لم تعد تأتى لزيارتها منذ فقدت بصرها .

اخيرا صرخت صابرين صرخة مرعبة حاسمة فى وجه زوجها الذى شمله الارتباك ، فهى المرة الأولى منذ زواجه منها التى تصرخ

فيه هكذا ، لذا استمع اليها مرتعبا وهى تأمره ان يصطحبها فى الحال الى شاطىء البحر المالح .. « لم يعد بى من طاقة على الابتعاد عنه .. اصوات النوارس بدات تشق طبلتى أذنى .. صراعهم الدامى المسعور احتل كل مساحات عينى .. هذا آخر رجاء لى » .

لم يستطع زوجها ان يتأخر عن تلبية رغبتها ولو للحظة .. بسيارته أوصلها الى اقرب محيط .. هبطت من السيارة .. توجهت فى الحال الى الشاطىء الهادىء .. كأن بصرها قد رد اليها فجأة .. كانت تسير نحو مائه بثبات اصرار .. صعق زوجها عندما رأى ماء المحيط يتقدم مسرعا الى قدمى زوجته .. كأنه يعانقها ويقبل قدميها مشتاقا لهما .. لم تعبأ زوجته بذلك .. بل واصلت تقدمها الى المحيط .. رآها زوجها تذوب فى المياه مثل قطعة من الثلج ناصعة البياض .. كانت تتلألأ تحت اشعة شمس العصر المائلة .. أراد أن يثب خلفها أو ينادى عليها .. لكنه لم يتمكن من أن يفعل أى شىء .. لقد فوجىء بمياه المحيط تفيض وتفيض .. كانت تتقدم الى اليابسة بثبات واصرار مخيفين .. لم يجد افضل من أن يدير محرك سيارته ، وينطلق بها مبتعدا عن تلك الالسنة المائية التى راحت تمتد وتمتد برغبة شقية للعق كل اليابسة .. لقد احتل الذعر كل اعماقه مما رأى .. ظل يرتعش ويرتجف .. حتى وهو داخل مسكنه المغلق الابواب والنوافذ .. حتى وهو يتابع المؤتمرات العلمية الملتهبة فى التليفزيون التى تناقش .. السبب فى هذا الفيضان المفاجىء لمياه البحار والمحيطات لدرجة اختفت معهابعض المدن من على سطح اليابسة .. يقول علماء الفلك انه نوع من انواع المد

السرطانى المخيف بسبب اقتراب القمر الشديد جدا من أمه الأرض .. لكن علماء الكيمياء نفوا ذلك بشـــدة زاعمين أن السبب الحقيقى هو اتساع ثقب الأوزون باضافة الى زيادة غاز ثانى أكسيد الكربون فى الجو مما ادى الى زيادة الحرارة وذوبان جليد القطبين .. كما أن علماء الجيولوجيا اعتقدوا بأن هذا الفيضان انما نتج عن حالة التواء مفاجئة وعنيفة فى قاع المحيطات ووو ....

« تمـــت »

((استقالة مسببة))

بعد ان شبع الأستاذ (خليل الأسمر) تنكيتا وتبكيتا من كل من سألهم عن المكان الذى يمكن أن يقدم استقالته من الحياة الدنيا الى (عزرائيل) ، لدرجة ان بعض المقربين منه برقت فى عيونهم تخمينات شبه مؤكدة بأن الرجل قد صار على عتبات الجنون الحقيقى ، لقد سمعوا عمن يقدم استقالته من وظيفته الحكومية المملة ، لكن أن يفكر انسان فى تقديم استقالة مكتوبة الى ملك الموت طالبا انهاء خدماته الدنيوية ونقله الى الحياة الآخرة أسوة بمن سبقوه من آبائه واجداده ! فهذا الموضوع لم يسبق لعاقل أن يفكر فيه ، ولم يكن أمامهم غير الابتعاد عن هذا الرجل بقدر المستطاع ، حتى لا يدخلهم فى تحقيقات ومحاضر شرطة لو فكر فى الانتحار ونفذه .

لم يأبه الأستاذ (خليل) بكل ما بدر منهم تلميحا أو تصريحا ، وايضا لم يتزحزح عن رغبته فى كتابة الاستقالة وتقديمها الى عزرائيل ، بل انه زيادة فى اصراره قرر أن يكتب الاستقالة بالفعل موضحا فيها وبكل دقة المبررات التى دفعته الى تقديم استقالته من تلك الحياة المستحيلة التى تخنق عليه انفاسه ، فاستغل الفترة من النهار التى يفرغ بيته تماما من ضجيج زوجته موجهة التربية الأسرية والتدبير المنزلى ، وكذلك انصراف أولاده وبناته الى مدارسهم وجامعاتهم .. استأذن من مدير عام المصلحة التى يعمل بها كموظف منذ ثلاثين سنة تقريبا .. انطلق الى بيته ، وحتى يضمن أن

سيارته لن تعطله كعادتها فى سنواتها الأخيرة ، بتركها منتظرة له فى جراج المصلحة ، مشيرا الى احدى سيارات الأجرة التى اقلته فيما يشبه الحلم الى بيته ، تسلل الى حجرة نومه التى يحتفظ فيها بمكتب صغير عجوز بعد أن انتزع منه ابنه الأكبر — بتأييد وتعضيد أمه مكتبه الفخم الذى كان ، نظر الى ساعته بتوجس ، لكنه ازداد طمأنينة وسكينة ، فلم يزل الوقت مبكرا على عودة زوجته أو أى من أولاده ، وفى الحال جلس يكتب الاستقالة التى سيقدمها الى (عزرائيل) حال التوصل الى معرفة مكانه ..

« الى ملك الموت الرقيق العطوف الرحيم ، يا من تريح المتعب وتخفف آلام الجميع يا من يكرهك الأغبياء ويحبك العقلاء .. اكتب اليك استقالتى هذه من هذه الحياة الدنيا المرة مستغنيا عما تبقى لى من سنوات الخدمة غير نادم .. واليك اسباب الاستقالة :

لم تعد الحياة كما كانت هى الحياة .. فها انا اتلكأ فى سيرى خلال العقد السادس من عمرى ، ويوما بعد يوم اشعر بتنامى تفاهتى وضآلتى فى نظر من حولى .. فزوجتى لم تعد زوجتى التى كانت .. لم تعد (صفية المسيرى) الطالبة بمعهد المعلمات التى تخفق القلوب من حول مشيتها الساحرة الفاتنة ، لم اعد بالنسبة لها فتى أحلامها الذى خطف قلبها ، وفاز بها من بين كل شباب الحى ، لم تعد الزوجة الشابة المدلهة بحب زوجها الشاعر الذى يجيد سكب كلمات الغزل فى دمها ونبضات قلبها المقبل على الحياة بنهم كم من مرة انا وهى قمنا بتصرفات مجنونة رائعة .. كنا نترك العمل دونما استئذان مسبق ضاربين بكل الدنيا عرض الحائط وننطلق

دون سابق اعداد ان احد المصايف أو المشاتى البعيدة عن كل من من يعرفنا ، ونبقى معا نتجرع العشق المجنون قطرة قطرة .. لم تكن تتقاعس ولو للحظة عن تنفيذ اى شىء أريده مهما كان هذا الشىء .. كنت احسد نفسى ، واكثر ما كان يبهرنى فيها أنها كانت تطيعنى وتستجيب لكل رغباتى بتلقائية وعفوية ، دونما أى تصنع أو من أو تكلف ، كانت تقول لى « لو طلبت منى أن أقتل نفسى لما تأخرت فى تنفيذ أمرك لثانية واحدة « ، لكنهـا الآن يا ملـك الموت الطيب وبعد أن مر على زواجنا ما يربو على الثلاثين عاما لم تعد هى !.. لقد صارت مدمنة لكل تصرف يعكر صفو حياتى .. تتعمد مخـالفة رأيى وبخاصة فى وجود أولادنا الذين يتغامزون على تصرفاتنا معا ، بين الراى والمعارضة الدائمة ، والتى تنتهى دائما بموافقتى على ما تراه هى ، لكنها ما ان تطمئن الى موافقتى على رأيها هى ،حتى تسارع وترتد على عقبيها مسلمة بسلامة رأيى الأول ، وتسقطنى فى حرج فى وجود أولادى . لقد صارت هكذا دائما ، تتعمد أن تجعل منى زوجا امعة لا رأى له .. وهذا سـبب من أسـباب كراهيتى لحياتى والاستغناء عن الجزء الباقى منهـا .

وأما السبب الثانى وراء هذه الاستقالة هو تصرفات أولادى .. فلم يعد أولادى كما كانوا من قبل .. كان كل منهم يستمع الى نصائحى وأوامرى .. كان كل منهم يسير فوق رصيف الشارع كما كما أوصيه فى الذهاب الى المدرسة أو العودة منها . كان يصدق كل ما اجيبه به على اسئلته الفضولية مشبعا له حب الاستطلاع لديه .. الآن كبر الأولاد .. لم يعد أى منهم يستمع الى نصائحى .. كل واحد منهم يخرج الى الطريق بملابس خفيفـة بالرغم صراخى

المتواصل لهم بضرورة ارتداء الملابس الثقيلة اتقاء لبرودة الشتاء .. وتكون النتيجة أن يصابوا بأمراض البرد ، واصاب بالتوتر والقلق والانزعــاج عليهم .. واســهر الليل مصــليا متضرعا الى الله أن يشفيهم ، متمنيــا بينى وبين نفسى ان يكون فى هذه التجربة درس لهم ، حتى يعودوا لسماع نصائحى كما كانوا عندما كانوا اطفــالا .. لكن للأسف .. تمر التجربة دون فائدة .. بل اننى صرت المح فى تعبيرات وجوههم مشــاعر مختلطــة من الســخرية والضــيق والاشمئزاز ، والوك فى الم ومرارة المثل الذى كانت تردده المرحومة امى على مسامعى دون أن اعى معناه الحقيقى الا على يدى أولادى المراهقين والشباب « قلبى على ولدى انفطر وقلب ولدى على حجر » رحمة الله عليك يا أمى ، لقد ارحتها يا ملك الموت وأسوة بها أريد ان تريحنى من كل هموم حيــاتى ..

وليت هذا فقط لكن كل شىء من حولى لم يعد كما كان فى صدر شبابى .. حتى سيارتى التى كانت تنطلق بمجرد أن أطأ بقــدمى على دواسة البنزين .. صارت هى الأخرى اكثر لعنة وتتمرد على انا ، كما تفعل زوجتى وأولادى .. لم تعد تستجيب لقدمى المرتعشة .. دائما تضحك النــاس على وتضــعنى فى مواقف حرجة تدفع الآخرين الى اطلاق السباب على عنــدما تعطل منى فى اشــارات المرور المزدحمة فى أوقات الذروة .. اضطر للهبوط منها ومنــاشدة أولاد الحلال وأهل المروءة النادرين فى هذه الأيام ، حتى نزج بها فى منطقة خالية الى أن يعبث لها « الميكانيكى » فى صدرها .. فتنطلق منتشية لعدة أيام حتى اذا اشــتاقت من جديد الى مداعبة أصــابع « الميكانيكى » لأجزائها الصلبة ، فعلتها معى وتعطلت ، حتى ضقت

بها تماما ، وفكرت اكثر من مرة أن أدفع بهــا الى قلب البحر أو النهر .. كل شيء يا (عزرائيل) يضايقنى ويجعل حياتى الأولى اكثر الما ومرارة .. .. لذا أرجو أن تقبل اســتقالتى ، وتنقلــنى الى الحياة الآخرة لعلى اجد فيهــا ســعادتى بعيــدا عن زوجتى التى اهملتنى واهتمت بعملها وأولادها ، بعيدا عن اولادى الذين فروا من أبوتى ، وأكون لك من الشاكرين .. »

ما كاد ينتهى الأستاذ (خليل الأسمر) من كتابة استقالته المسببة الى (عزرائيل) حتى سمع صوت دوران المفتاح فى الباب الخارجى .. وادرك أن الوقت قد سرقه أثناء الكتابة وان موعد عودة زوجته قد حل دون أن يشعر .. فكر فى حيلة ينجو بها من أسئلتها التى ستلهب بها جسده عن السبب فى مجيئه الى البيت مبكرا ؟ ولماذا ترك السيارة وجاء بالتاكسى ؟! .. لذا تصنع المرض ..وثب الى السرير بملابس العمل .. ألقى بجسده فوق مرتبته الطرية .. قال آه مرتين بصوت شبه نائم كأنه يحلم .. دهش لأنه شعر ولأول مرة منذ وقت بعيد براحة .. لكنه تساءل دهشــا من الذى احضر ابى وأمى واقاربى الموتى الى سريرى ؟! .. خمن أن يكون (عزرائيل) قد قبل الاستقالة ، وأنه قد مات بالفعل ..

أما زوجته وأولاده الذين قرأوا الاستقالة المسببة فقد حزنوا — لأيام — حزنا لم يحزن مثله احد من قبل .. واقاموا له مأتمــا باهظ التكاليف تكلم عنه الناس .. وكان يتساءل البعض عن السبب الذى يجعل زوجته تردد من وقت الى آخر وبدون مناسبة ولكأنها تقنع نفسها « الحمد لله .. لقد مات ميتة طبيعية » .

« تمــت »

(١٤)

« شـــــهوة التـــدخين »

كان المسلسل (التليفزيونى الكوميدى) هو المسئول عن قرقرة اولاده الثلاثة .. تعالتوتواصلت ضحكاتهم .. فاضت عن خجرة الاستقبال التى تحتويهم ومعهم التلفاز .. تســللت بطيئة فى أول الأمر الى اذنى ابيهم النائم فى غرفة نومه المجاورة .. اســتيقظ منزعجا متأففا .. تمطى عدة مرات فى محاولة جادة لاعادة كل جزء من أجزاء جسده الى مكانه الطبيعى .. تمكن من تحريك رأسه فوق وسادته .. مسح فضاء غرفته بعينيه .. فك عناق أهدابه الطويلة عندما جذبه بريق ذهبى منبعث من اطار ساعة الحائط فى ثبات وثقة .. شهق متحسرا عندما ادرك أن آذان المغرب لم يزل أمامه أكثر من ساعتين .. رائحة التبغ استيقظت .. نشطت تعربد فى أنفــه وحلقه وداخل اذنيه .. شعر بها تتدافع مع موجـــات دمائه التى تتدفق عبر أوصاله .. احس بالضيق وهو يعاين عقارب الساعة من جديد .. تمنى لو أن عينيه خدعتاه .. وأن المتبــقى على أذان المغرب والافطار هو ساعة فقط أو اقل من ساعة .. لكن العقربين الكبيرين اجاباه بثبات وتحد أن موعد الافطار لم يزل متبقيــا عليه اكثر من الساعتين والربع .. تملكه السخط الشرس تجاه أولاده وضحكهم السعيد الذى ايقظه من نومه قبل الافطار بهــذا الوقت الطويل .. فى الحال أسقط ساقيه من فوق الفراش مستعدا للنهوض

نشرت بجريدة البيان ١٩٩٢/٣/٨ م

تمـــاما .. لكن علبة الســجائر الشهية كانت ترقــد بســلام فوق (الكومبدينو) الملاصق لفراشه .. منذ أن وضعها عقب السحور .. بتلقائية سبحت يده فى الفضاء الممتد الى ظهر (الكومبدينو) .. استقرت عليه .. بعفوية طفقت اصابعه تتحسس طريقها الى علبة السجائر المستغرقة فى نومها تماما حتى موعد الافطار كعادتها منذ أول شهر رمضان .. اراد أن يسحب يده بعيدا عنها .. لكن رغبة عاصفة تجتاح كل كيانه انتصرت على كل ارادته .. تمكنت أصابعه العاشقة من مواصلة زحفها الهادر .. كم من السعادة والنشـــوة والحزن الرقيق سيطروا على مشاعره المستفزة عندما تحسســت أنامله فقط غلاف علبة السجائر من الخارج ..

عادت ضحكات أطفاله العالية كصوت البارود تشق أذنيه .. لم يستطع التحكم فى أعصابه .. نهض من فوره .. اجتـــاز باب حجرته بشعر رأسه الأشعث .. دفع باب حجرة الاستقبال عليهم .. صرخ فيهم كالصاعقة .. ارتجوا ... جميعهم .. انكمش كل واحد منهم فى مقعده مهملا متابعة المسلسل .. اسرع كل واحد منهم الى رفع كتابه الى عينيه .. سيطر عليهم الرعب من صراخه المتواصل فى وجوههم « لم يعد لدينا أى شىء نفعله غير مشاهدة التليفزيون ؟!! ..الامتحان على الأبواب وتتابعون المسلســلات ؟!! هل ســيتم امتحانكم فى المسلسلات ؟!! » .

ولم يجبه أحد منهم .. كأنهم نسوا النطق تماما .. كل واحد منهم خبأ عينيه بعيدا عن وجه أبيه وستر نفسه بكتابه المفتوح .. حتى ابنه الصغير الذى يدرس بالصـــف الأول الابتـــدائى .. كان

يمسك الكتاب بالمقلوب .. عنـــدما انتبه أبوه الى هذا المخـــادع الصغير تمكن باقتدار من السيطرة على ابتسامة كادت تفلت منه وتطل من بين شفتيه .. بل قرر أن يتمادى فى انفعاله وحنقه عليهم .. توجه الى جهاز (التليفزيون) .. أغلقه وأقسم بأنه لن يفتح قبل الافطار .. لم يدرلماذا شعر ببعض الراحة النفسية عنـــدما أحال ضحكهم وسعادتهم الى خوف وضيق وسخط .. انسحب من الغرفة متوعدا لمن يتجاسر ويحاول فتح (التليفزيون) مرة أخرى .. لكن تلك الراحة العابرة لم تدم فى صدره طويلا . اذ سرعان ما استحالت الى سخط كاسح عندما التقطت اذناه صوتا خفيضا لغناء مرتاح وسعيد .. فى الحال اتجه الى المطبخ .. فهو يستطيع أن يميز صـــوت زوجته جيدا .. هجم عليها بشكل مفاجىء صارخا فيها كعاصـــفة هوجاء « الديك شهية للغناء وانت لم تنجزى طعام الافطار بعد ؟!! .. ثم الا تعلمين أن صوت المرأة عورة ؟!! .. ماذا أقول للجيران عندما يسمعون غنائك المنفر هذا ؟!! أقول لهم أننى لست رجلا فى بيتى ؟!! .. »

ما أن افاقت زوجته من ذعرها المفاجىء واستعادت نفسها الشاردة حتى تشكلت هى الأخرى نمرة شرسة .. أخذت تلوح فى وجهه بسكين المطبخ الذى كان فى يدها لتقشير البطاطس .. بينما كان العرق يتدحرج فى شكل قطرات متواصلة من فوق جبينها ، ومن حول اذنيها ، ومن تحت ابطيها ، دون أن تشعر به فى مواجهتها الطويلة للموقد المشتعل الذى تنجز عليه طعام الافطار .. استدارت اليه صارخة « من الافضل لك أن تفطر .. ما دمت غير قادر على الصبر والبعدعن حبيبتك السيجارة .. الصيام معناه فى الأساس

الانتصـــار بســـــعادة على كل الشـــهوات .. ومنهـــا التـــدخين لأمثالك ..... » لم يصبر عليها حتى تكمل صراخها فى عينيه .. لكنه عاجلها قائلا وقد هدأ بعض الشىء .. كما لو كان موجا هائجا اصطدم بشاطىء صلد .. « هل ستتحولين الى واعظة أنت الأخرى ..ما أكثر الوعاظ فى هذه الأيام !! » .

وقبل أن يستدير على عقبيه خارجا فيما يشبه الهزيمة بعد أن عرت داخله فى مواجهة عينيه الواعيتين .. خاطبته بعطف ممرضة وحنانها « من الاجدر بك أن تستغفر الله هيا توضأ وصل العصر .. واقرأ ما تيسر من القرآن الكريم .. » لم يرد عليها بأى كلمـــة .. لكنه راح يتمتم محوقلا ومستغفرا .. ثم خرج مباشرة الى الحمام .

« تمـــت »

« احـــلام الآبـــاء »

عندما ابتسم الدكتور سعيد موسى المدرس بكلية الطب فى وجه الحاج خليل منصور فراش القسم الذى تسلم العمل فيه منذ عودته من بعثتـــه بالخارج بعد أن حصـــل على دكتـــواره فى جراحة المخ والأعصاب .. لم يكن يبتسم فى وجه الفراش نفسه .. بل كان يبتسم لوجه أبيه الذى فوجىء بموته بعد أن عاد من البعثـــة .. تآمرت عليه أمه وأخوته .. اتفقوا معا على اخفاء خبر موت الوالد .. لكنه لم يغفر لهم ذلك أبدا . حاولوا بكل الوســـائل أن يبرروا تصرفهم بأنه كان من أجل مصلحته هو .. لكنه لم يقتنع .. اقسموا بأن ذلك كان بناء على وصية المرحوم نفسه .. لكنه لم يصدق .. وحتى لو صدق فهو قد ينسى للحظات .. لكنه أبدا لن يصفح عنهم .. حتى لو أن والده وافته المنية وهو يستعد لمناقشة رسالة الدكتوراه .. كان من الواجب عليهم أن يخبروه .. صرخت أمه فى وجهه بعد أن يئست من هذا الرأس اليابس ونهرته بغضب : لست أول وآخر من يموت أبوه وهو فى الغربة .. كل يوم وفى كل مكان يموت آلاف الناس بعيدا عن أولادهم وبناتهم .. لكن لا أحد فعل مثلمـــا تفعل بنا !! تريد أن تحاكمنا كل يوم .. كل ساعة .. كأننـــا ارتكبنـــا جريمة فى حقك !!

نشرت بجريدة الاتحاد .

حتى انفعال أمه هذا لم يكن بقادر على أن يقتلع جذور تلك الصدمة العصبية التى ومضت لها كل خلاياه العصبية ، ومضة واحدة مفاجئة .. كل الخلايا صرخت صرخة واحدة لكن صداها لم يزل يتردد فى أعماقه البعيدة .. وامتزج بعد ذلك بمشاعر كثيفة من خيبة الأمل والاحساس الدائم بعقدة الذنب .. ولكن الاحساس الذى كان يزوره من وقت الى آخر بشكل مخيف هو احساسه (بأن القدر لم يكن فى ذلك معه) ؟ !! لكن فى الحال كان يتملص من هذا العنكبوت الشيطانى الذى يوشك أن ينسج ويعشش فى ضميره .. كان يهرب من الركون اليه ..

لم يخفف عنه معظم هذه المشاعر الثقيلة الا رؤيته للحاج خليل منصور فراش القسم الذى يعمل فيه بالكلية .. انه صورة طبق الاصل من ابيه المرحوم .. الصوت الخفيض .. الحياء البادى عليه كل تصرفاته وسلوكه .. الادب الجم .. حتى لون بشرته السمراء .. الألوان التى كان يفضلها .. اللون الأزرق .. لذلك كان دائم الابتسام له كلما وقعت عيناه عليه .. حتى ولو رآه فى اليوم الواحد الف مرة .. ولم تكن ابتسامته ابتسامة عادية بين رجلين .. بين رئيس ومرءوس .. من قبيل التواضع مثلا .. أو بين صديقين من قبيل الشوق والترحيب .. كانت ابتسامة ضعيفة خجولا ممتزجة بكثير من الأسف والاعتذار .. ولا شك أن الحاج خليل منصور تحير فى تفسيرها فى الأيام الأولى .. لكن مع تتابع الأيام ومواصلة العمل مع الدكتور الجديد . لم يكن بحاجة الى كثير من التفكير والتفسير للون وطعم هذه الابتسامة الغريبة .. لأنه استطاع أن يقنع نفسه بأنها ابتسامة عادية من دكتور جديد طيب

وابن حلال ومتواضع وليس مثل بقية دكاترة هذه الأيام .. يأتى من البعثة رافعا أنفه فى السماء .. لا يخفضها أبدا الا عنـــدما يعـد الفلوس التى يستلبها من المرضى المساكين .. لكن الدكتور ســعيد موسى نوع جديد ومختلف تماما .. ولم يكن يخفى اعجابه هذا أمام الآخرين .. حتى عندما يذهب الى بيته .. وعندما يجلس بين أولاده وبناته فى حلقة مستديرة حول الطبلية لتناول طعام الغداء أو العشاء ..لم يكن يكف أبدا عن التـكلم فى سـيرة الدكتور الجـديد .. « أخلاقه .. نشاطه .. انه يتنقل بين الطلبة كما لو كان قائدابين جنوده فى ميدان معركة حامية .. لا يستريح أبدا .. وأهم ما يميزه عن بقية الدكاترة الآخرين انه لم يدخن ابـدا . لم اره يضـع بين شفتيه سيجارة واحدة .. أما ابتسامته العجيبة فلا تفارق وجهه .. انه لا يبتسم بشفتيه فقط .. انه يبتسم بكل ملامح وجهه .. لا شك أنه ابن ناس طيبين .. »

ولو ترك الحاج خليل دون أن يعترضه أحد من أولاده لظل يقول ويقول عن الدكتور الجديد .. لكن ابنته الكبرى .. والتى تولت مسئولية البيت والأسرة كلها بأفرادها الخمسة بعد موت أمها مما اضطرها الى الاكتفاء بالثانوية العامة تسارع بمقاطعته بمرح ودهشة : بابا !! .. لو أن المرحومة ماما كانت معانا الآن لأحست بالغيرة من هذا الدكتور الجديد !! .. لقد مر عليـك الـكثير من الدكاترة .. منذ ثلاثين سنة وأنت تعمل فى كلية الطب .. لم نسمعك تتكلم عن انسان مثلما تتكلم عن هذا الدكتور الجديد !! .

فى نفس الوقت كانت أم الدكتور سعيد تصاب بدهشة وهى ترنو الى وجه ابنها فى غفلة منه فتجده يبتسم لنفسه .. وكل أسارير

وجهه تستريح فى حنان ، بينما عيناه الواسعتان تنتابهما حالة من التحقيق المكمش والتركيز على البعيد .. فتدرك أن ابنها يسافر بنفسه الى بعيد .. ولكن يبدو أنها رحلة جميلة وحلوة .. فيدفعها الفضول الى السؤال بمداعبة واهتمـــام : خذنا معك يادكتور .. لا تسافر وتتركنى وحدى !! .

ولكأنه كان ينتظر أن تسأله امه عن سبب الابتسامة ودواعى الشرود .. لينطلق فى حديث لا ينتهى عن الحاج خليل منصور .. وكيف أنه يرى فيه والده الذى حرم منه .. حتى رائحة عرقه نفسها رائحة عرق والده التى كان يحبها ويأنس بها !! .. ولو لم تنهض امه من امامه مدعيةأنها نسيت بعض الطعام على النار .. وهى تندم لأنها سألت الدكتور عن سبب سرحانه .. لظل يقول ويقول عن الشبه الكبير الذى وجده فى الحاج خليل .. لكنهاولفرط تبرمها بهذه السيرة المعادة تختفى من امامه بأى حجة .. وتتركه وحده .. ليعاوده وخز الضمير وهو يتذكر اباه الطيب .. كان يحلم بهذا اليوم الذى يرانى فيه أســتاذا .. دكتورا .. كان يقول : انا لا اســتطيع ان اتصور نفسى عندما يطلع على الصباح الذى ارى فيه ابنى سعيد استاذا فى كلية الطب !! .. بالتاكيد سأموت من الفرحة !! » .. ويسارع الدكتور سعيد بتجفيف عينيه قبل ان يأتى احد من افراد اسرته ويرى آثار الدموع فيسارع باللوم لتلك الحساسية المفرطة .. و كأنه الوحيد الذى مات ابوه .. ونهض من جلسته .. وراح يتجول فى الصالة للحظات ثم ما لبث أنتقدم الى البلكونة يســـلى نفسه بالنظر والتطلع على خلق الله حتى تنتهى أمه من اعداد العشاء .. انها الفترة الوحيدة التى يجلس فيها مع أمه واخوته .. يعتبر هذا واجبا يوميا مفروضاعليه لابد أن يؤديه تجاه أسرته .. ! فهو

الابن الأكبر .. واعتبر نفسه المسئول عنهم جميعا بعد موت والده) .. وما زال كل ليلة وقبل أن يسلم نفسه للنوم يعطى لروح والده تقريرا يوميا عن احوال البيت .. ليثبت له انه لن يخل بوعده له .. وانه سيرعاهم جميعا .. حتى يزوج أخته الصغرى هناء .. التى لم تزل بالصف الثانى الثانوى .. لكن الذنب كبير والخطأ جسيم .. فهو الذى تعمد التأخير فى البعثة .. لم يكتف بالحصول على الدكتوراه .. فضل البقاء بعد حصوله عليها .. بقى هناك لمدة عام .. فضل أن يعمل فى احدى المستشفيات هناك مع أستاذ له سمعته العالمية فى مجال تخصصه .. كان يعتقد أن اكتساب الخبرة أهم ألف مرة من مجرد الحصول على شهادة .. لو لم يتأخر هناك .. لو حضر اليهم عقب حصوله على الدكتوراه .. لكان حقق حلم أبيه .. أمله الذى فارق الدنيا دون أن يحققه له .. لم يكن يحلم بشىء مستحيل .. كانت كل احلامه بسيطة ومتواضعة .. أن يرى ابنه بعد أن يحصل على الدكتوراه وهو يدرس لطلاب كلية الطب .. كان يتوق الى ذلك اليوم الذى يندس فيه بين الطلاب ليمتع عينيـه بالنظر الى ابنـه الأستاذ بكلية الطب .. ثم الجلباب الصوف الأزرق والطاقية الزرقاء أم حيطة . ويجلس بهما فى المنزل بعد أن يحال الى المعاش فى نهاية اربعين سنة عملها فى وزارة التربية والتعليم .. كان يبث ابنه كل هذه الأحلام والآمال منذ أن كان تلميذا بالمرحلة الابتدائية .. وكبر .. لكن احلامه ظلت كما هى .. لم تكبر ولم تتغطرس حتى بعد أن حصل ابنه على (بكالوريوس) الطب .. ظل متمسـكا بحلمـه بالجلباب الأزرق والطاقية من نفس لونه وقماشـته .. رفض أن يشتريها له من أول راتب قبل أن يحصل على الدكتوراه .. وسافر ابنه ليحقق أمله فى الدكتوراه .. وأحيل هو الى التقاعد .. جلس

فى البيت .. كان ينتظر عودته ليراه أستاذا يعلم الطلبة .. لكنه تأخر .. انتظره كى يشترى له الجلبـــاب الأزرق من الراتب الأول بعــد الدكتوراه .. لكنه فضل البقاء هناك من أجل اكتساب الخبرة .. ولم يكن لدى أبيه الوقت الكافى لينتظره حتى يكتسب خبرته .. فمات .. بعد أربعين سنة .. ذابت فيها عظامه وتهدمت خلايا الجســد واضمحلت خلايا الأعصاب .. لا يذكر أبدا أنه رأى والده مرتاحا يوما .. كان فى صباحه ينهمك فى نظافة المدرسة التى يعمل بها فراشا .. وفى مسائه يسعى بين بيوت المعلمين وناظر المدرسة .. مشتريـــا لهم بعض الطلبـــات .. مقابل ما قد ينفحونه من قروش قليلة .. حتى بعد أن تخرج وعمل طبيبا ومعيدا فى الجامعة .. رفض النكوص عن ذلك رغم الالحاح المتواصل من كل أفراد أسرته وخاصة الدكتور نفسه . وقال بحزم لا رجوع فيه « لو فعلتها سيكون هذا تـــكبرا منى لأن ابنى صـــار طبيبـــا .. وســـــيعاقبنى الله بأخذه منى » .. لو كان يعلم الغيب لما كذب عليه .. لما قال لهم أن رسالة الدكتوراه تأخرت مناقشتها لمدة عام .. كان قد أدرك أباه .. كان وفر له الراحة والسعادة ولو فى آخر أيامه .. كان قد رد ولو جزءا يسيرا من تلك الدماء التى احترقت داخل خلايا جسد أبيه بحثا عن القرش الذى كان يستميت من أجل توفيره له .. لم يبخل عليه فى أى يوم .. كان يهتف بصدق واخلاص وحنـــان « طلبـــات الدكتور مقدمة على كل الطلبات .. حتى على دواء مرض موتى » .. ماجت المرئيات أمام الدكتور الذى لم يزل واقفا فى البلـــكونة .. انتبه الى أن دمعة كبيرة غافلته وتسربت من غدته الدمعية .. تحسس عينيه بهدوء ومسحها .. لكنه لم يستطع أن يمسح من ضميره هذا الشعور المتنامى بذنبه . همس لنفسه معنفا « أعطاك كل عصارة عمره .. لم يطلب منك أى مقابل .. فقط أراد أن يثبت لنفســـه قبل أن يموت أنه حلم بشكل جيد .. كما أنه يزرع أولاده بمهارة .. فحقق الله حلمه الذى خبأه فى صدره منذ كان شابا صغيرا .. عندما

اصطحب أمه المريضة الى مستشفى القصر العينى .. هناك .. اجتمع حولها عدد من طلبة الطب .. كانوا يرهفون السمع لأستاذهم الذى كان يفحص أمه ويرطن لهم بالافرنجى .. كان الاستاذ مليئا بالشباب والحيوية .. كان يشبه قائد الجيش فى معركة حامية .. لحظتها تمنى أن يكون له ابن مثل هذا الاستاذ — بالرغم من أنه لم يكن قد تزوج بعد — كان يكرر هذه الأمنية مشفوعة بقصة ذهاب أمه الى القصر العينى .. منذ أن كنت تلميذا بالابتدائى .. حتى حصلت على الماجستير .. حاولت أن اصطحبه معى الى الكلية ليرانى أقف بين الطلبة وأرطن كما رأى الأستاذ .. لكنه سألنى بصدق .. هل حصلت على الدكتوراه ؟ !! .. ورفض أن يصحبنى الا بعد أن أحصل على الدكتوراه .. كأن المسكين كان يدفعنى اليها دفعا دون أن أدرى .. كان يجعل من شوقه لتحقيق أمله مجرد حافز لى .. ويأتى الوقت الذى أجحد فيه كل حبه لى .. أحول دون تحقيق دعائه فى كل صلواته .. من أجل اكتساب الخبرة !!... »
لكن صوتا داخليا صرخ فيه مكذبا ومؤنبا بضجر : كفاك كذبا على نفسك .. أنت تعلم أنك لم تدق نفسك هناك من أجل الخبرة وحدها .. الخبرة اكتسبتها أثناء الدراسة .. لم تسكن فى أعماقك غير رغبة واحدة .. حبك لجمع أكبر قدر ممكن من المال بالعمل هناك فى مستشفى خاص .. حتى تشترى سيارتك هذه .. حتى تستأجر شقة كبيرة لأسرتك بعيدا عن حيكم القديم الذى رآك فيه الناس وأنت تذهب الى المدرسة الابتدائية التى كان يعمل فيها والدك فراشا بملابس مرقعة .. لقد تخلفت عن تحقيق أحلام المرحوم من أجل حفنة دولارات .. مات دون أن يلبس الجلباب الصوف الأزرق الذى تمناه .. لم يتوج رأسه بالطاقية الزرقاء أم حيطة ..

ما أن انتهت أم الدكتور سعيد من اعداد طعام العشاء وراحت تنادى على أولادها حتى أدهشها أن رأت الدكتور مرتديا ملابسه كاملة مستعدا للخروج .. وأقبل معتذرا لهم جميعا بأنه سيضطر

للخروج لأنه نسى امرا هاما .. وقبل أن يســـأله احد عن اى شىء كان قد تقدم من الباب وهو يحرك سلسلة مفاتيحه بعصبية .. فتحه .. انزلق من أحضانه خارجا .. ترك علامات الدهشة محفورة بعمق على كل الملامح .. أغلق الباب خلفه .. كأنه يحمى ظهره من رشقة اى سؤال لهذا التصرف المفاجىء . تكاد تكون المرة الأولى التى يفرط فيها فى عادة الجلوس معهم على مائدة العشاء .. شاع اقتناع مفاجىء بين الجميع بأن الدافع لابد أن يكون قويا جدا .. أقوى من العادة نفسها !! فتناولوا طعامهم فى صمت .

فى نفس الليلة كان الدكتور ســعيد يقف ببـــاب احد البيوت المتواضعة فى حى شعبى متهدم سائلا طفلة صغيرة عن والدها الحاج خليل منصور .. كان يحمل فى يده اليمنى حقيبة من البلاستيك .. يقبض عليها بعنف وحرص .. كأنه يخاف عليها من أن يأخذها منه اى مخلوق آخر مرة ثانية .. كان بها حلم ابيه .. كان بها الجلباب الأزرق والطاقية أم حيطة .. ولم يضيع الدكتور الوقت مرة ثانية .. فى الحال قدمها للحاج خليل قائلا فى أسف شديد واعتـــذار ملح : أرجوك .. سامحنى .. لقد تأخرت عليك فى احضـــار الجلبـــاب الصوفى الأزرق والطاقية أم حيطة !!

انفجرت ملامح الحاج خليل فى الحال بألف علامة اســـتفهام ودهشة وتعجب وهمس بصوت أبوى رقيق اضطرب له قلب الدكتور وهو يسمع فيه صوت المرحوم أبيه بكل نبراته . .بكل هدوئه وعفويته كيف عرفت يا دكتور أن أملى فى الحياة بعد أن أخرج على المعاش فى الشهر القادم — هو أن أجلس فى البيت مرتديا جلبابا من الصـــوف الأزرق والطاقية أم حيطة .. كنت أعتقد أن هذا الحلم من الصعب تحقيقه .. لذلك لم ابح به لمخلوق .. لـــكن كيف عرفت أنت به يا دكتور ؟ !! ..

((تمـــت))